مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية, م١٥, ص ص: ٣-٨٧ (٢٠٠٧م/١٤٢٨هـ)

الصراع بين الإسلام والوثنية في إيلخانية مغول إيران على عهدي تكودار خان وأرغون خان (٦٨١-٦٩٠هـ/١٢٨٢-١٢٩١م)

محمد سالم بكر باعامر

أستاذ مساعد تارخ العصور الوسطى

قسم التاريخ – كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الملك عبدالعزيز – جدة

المملكة العربية السعودية

المستخلص. يشتمل البحث على مقدمة تبين حدود دولة مغول إيران التي كونها هولاكو خان والتي عرفت (بايلخانية المغول) في فارس أو في إيران، والسبب في إطلاق هذه التسمية عليها. فالصراع المسيحي الإسلامي، وأهمية موقعة عين جالوت في حسم هذا الصراع لصالح الإسلام، ثم تحالف المسيحية مع الوثنية في أعقاب وفاة هولاكو، وارتفاع شأن الإسلام وما دار من صراع بينه وبين الوثنية المتحالفة مع المسيحية، والآراء التي قيلت في ذلك، وكيف أن هذه الفترة (٦٦٣-٦٨٠هـ/ ١٢٦٥-١٢٨٢م) تمثل مرحلة هامة في دولة مغول إيران، لما ترصده لنا من تغيرات كانت قد بدأت تأخذ مكانها على ساحة حكام مغول إيران.

بعد ذلك تناول البحث فترة حكم تكــودار، اســمه الحقيقــي، تنصره في الصغر، ميله إلى الإسلام، ثم ظهــوره علــى مــسرح الأحداث السياسية، وكيف كان هو الرجل المناســب لهــذه الفتــرة وخصائصه وإسلامه والظروف السياسية الخارجيــة فــي أيامــه وصفاته وما يؤخذ عليه ورد الاتهامات الموجهة إليه وأعماله داخليًا وخارجيًا ودخوله فى صراع حول العرش مع ابن أخيه أرغــون، وأسباب ذلك.

ثم حكم أرغون و سياسته الداخلية والأزمة المالية وسياســته الخارجية، ومنها سفاراته إلى الغرب الأوروبي فــي الفتــرة مــن ٦٨٤-٦٨٩هـ/١٢٨٥-١٢٩٠م وعلاقات أرغــون مــع جيرانــه وثقافته والآثار المعمارية التي خلفها, ووفاته وعادات المغول فــي دفن ملوكهم والخروج بما يدل على عودة الوثنية وتراجع الإســلام في عهد هذا الخان.

وتتناول الخاتمة اختلاف المؤرخين في يوم وفــاة أرغــون، ولماذا كان للمسيحيين النساطرة تأثيرهم في بلاطه، ثم الرد علــى من يشككون في إسلام تكودار، وكيف كان عهده إرهاصــة قويــة سبقت مولد دولة جديدة: جديدة في دينهــا، جديــدة فــي انتمائهــا السياسي، جديدة في سياستها، ونهاية الصراع بانتــصار الإســلام والمسلمين.

المقدمة

من المعروف أن هولاكو خان بن جنكيزخان (٦٦٣هـ / ١٢٦٤م) استطاع في حوالي سبعة أعوام, من ســنة (٦٥١-٦٥٨هـــ/١٢٥٣-١٢٦٠م) أن يُكَــوِّن امبراطورية ضخمة ، تضم إقليم خراسان وعاصمته نيسابور، وإقلــيم عــراق العجم وهو الذي يعرف ببلاد الجبل وعاصمته أصفهان، وإقليم عــراق العــرب

وعاصمته بغداد، وإقليم أذربيجان وعاصمته تبريز، وإقليم خوزستان وعاصمته ششتر، وإقليم فارس (إيران) وعاصمته شيراز، وإقليم ديار بكر وعاصمته الموصل، وإقليم الروم وعاصمته قونية، وغير ذلك من الأقاليم التى لم يكن لها من الشهرة مثل هذه الأقاليم (١).

داخل هذه الحدود, الممتدة من نهر جيحون شرقا, إلى البحر الأبيض المتوسط غربا، كَوَّن هولاكو خان مملكة خاصة به وبأبنائه من بعده، حيث حكمت أسرته زهاء قرن من الزمان، أى من سنة ٦٥٤هـ إلى سنة ٧٥٤هـ/١٢٥٦-١٣٥٦م. وقد أطلق على كل حاكم من هؤلاء الحكام اسم (إيلخان)، وعلى الأسرة كلها (الإيلخانيون) (٢). أما عن السبب في تلك التسمية فيرجع إلى كلمة (إيل) المغولية، والتي تأتى بمعنى خاضع أو مطيع أو قبيلة. إذن فمعنى الكلمة المطيع للخاقان أو القاآن (الملك الأعظم) أو هو الذي يمثله ويدين له بالولاء (٣). ذلك أن هولاكو مؤسس هذه الأسرة كان يحكم إيران من قبل أخيه الخاقان, أو الخان الأعظم الذي كان يقيم فى قراقورم، فهولاكو لم يكن يملك ملكا مستقلا، بل كان نائبا عن أخيه منكوقاآن (٦٤٨-٦٥٧هـ/ ١٢٥١-١٢٥٩م)، ولم يضرب باسمه سكة درهم ولا دينار، وإنما كانت تضرب باسم أخيه المذكور (٤). وظل اسم (إيلخان) قائما حتى وفاة قوبيلاي قاآن أوخاقان سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٥م، ومنذ ذلك الوقت اختفى اسم الخاقان من السكة الإيرانية وحل لقب (الخان) محل لقب (الإيلخان)، أو بعبارة أخرى أن أبناء هولاكو الذين حكموا هذه البلاد كانوا شبه مستقلين، وكانوا فقط يظهرون احتراما للخواقين الجالسين على عرش المغول في الصين، ويتبادلون معهم الرسل والهدايا. ومع هذا فقد جرت عادة بعض المؤرخين على أن يُطلقوا على عصر حكام المغول في إيران وحتى نهاية دولتهم سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م اسم العصر الإيلخاني أو إيلخانات المغول في إيران(٥).

وإذا كان المغول بقيادة هولاكوخان قد دأبوا, في جميــع المــدن والبلــدان الإسلامية التي دخلوها عنوة, على ذبح أهلها من المسلمين بسبب زوجته طوقوز خاتون المسيحية ومستشاريه من الأرمن المسيحيين، فإنهم حرصوا في الوقــت نفسه على حماية أرواح وممتلكات سكانها من المــسيحيين (٦). إلا أن انتــصار المماليك في معركة عين جالوت في ١٥ رمضان ٦٥٨هــ/٣ ســبتمبر ١٢٦٠م قد بعث روحا جديدة في المسلمين لاسيما الإيرانيين منهم الذين تحملــوا وطــأة الغزو المغولي كله، والذين لاقوا صنوفا من العذاب والاضطهاد والتشريد، فقــوي موقفهم، واستطاعوا أن يصمدوا أمام مناورات المسيحيين، وينافسوهم فى تبــوء مراكز الزعامة والصدارة في دولة المغول بإيران، وصاروا يشرحون للحكــام المغول تعاليم الإسلام ويرغبونهم في إعتناق هذا الدين (٧).كما أن القلوب كانت قد يئست من النصرة على المغول لاستيلائهم على معظم بلاد الإسلام، ولأنهم ما قصدوا إقليما إلا فتحوه، ولا عسكرا إلا هزموه، فابتهجت الرعايا بالنصرة عليهم (٨).

مما لا شك فيه أن معركة عين جالوت (٦٥٨هــ/ ١٢٦٠م) تعتبر من المعارك الفاصلة في التاريخ، نظرا لما ترتب عليها من نتائج خطيرة (٩). ومنها أنه تداعى أمر المسيحيين الوطنيين في آسيا، بينما ارتفع شأن المسلمين، وكان ذلك من العوامل التي حملت من تبقى من المغول في غرب آسيا على اعتناق الإسلام (١٠). وإن لم يحدث ذلك دفعة واحدة، فقد دخل الإسلام فى صراع مرير لتحديد المصير مع المسيحية, متحالفة مع الوثنية. وذلك في الفترة التي أعقبت وفاة هولاكو خان (ت ٦٦٣هــ-١٢٦٤م) وتولي ابنه آباقاخان (٦٦٣-٦٨٠هــ/١٢٦٥-١٢٨٢م) من بعده، ثم في عهد تكودار بن هولاكو، ومن بعده فى عهد أرغون خان حفيد هولاكو وابن آباقاخان. أي الفترة من سنة ٦٦٣ إلى سنة ٦٩٠هــ/١٢٦٥-١٢٩١م. وما يهمنا من ذلك التحديد الزمني هو الفترة التي تولى فيها تكودار بن هولاكو, ومن بعده أرغون خان (٦٨١-

٦٩٠هـ/١٢٨٢-١٢٩١م)، وهي حوالي عشر سنوات، وفيها كانت ملامح الصراع واضحة تماما بين الجبهتين الإسلامية، ممثلة في تكودار وعهده، والجبهة الوثنية المسيحية ممثلة في أرغون وعهده. وإذا كان يحلو لفريق من المؤرخين القول بأنه, في أعقاب مقتل تكودار ووصول أرغون للحكم، قد قُضي على شوكة المسلمين الإيرانيين، وتغيرت الأوضاع وانقلبت الموازين، وعادت مرة أخرى قوانين جنكيز خان وآداب المغول [١١]. وهو رأي له وجاهته، إلا أننا لا نقبله بهذه البساطة، ذلك لأن هذا الرأي يتفق تماما مع وجهة النظر التي كان النساطرة المسيحيون المنتشرون في بلاد الإيلخان المغولي أرغون خان يروجون لها كنوع من المبالغة في إظهار نفوذهم، ويذيعون أن الإيلخان يعطف عليهم وأنه على وشك إعتناق المسيحية. وقد فات على هؤلاء النساطرة أن هذا الإيلخان كان يبدى كثيرا من العطف على القساوسة المسيحيين، ويزور كنائسهم ويحضر احتفالاتهم، وأن ماكان يفعله مع المسيحيين كان يفعله بالمثل مع الكهنة الشامانيين*والبوذيين** ورجال الدين الإسلامي. وأن سلوكه هذا لا يدل على تغيير في الدين، وإنما يخفي لا مبالاة شديدة بأمور الدين والعقائد[١٢].

كذلك يمكنا القول إن هذا الإيلخان, وهو أرغون, كان آخر حاكم مغولي من أحفاد هولاكو خان متماديا في عجرفته التي لم يكن لها حدود، والتى أوحت إليه بالطموح في بسط سيادته على العالم كافة. ولكي يحقق هذا المشروع فقد جند جماعات لا حصر لها من المحاربين المدربين تدريبا جيدا، واستخدم خليطا من العزيمة والرياء للتغلب على ما يعترضه من عقبات فى مسيرته، ألا وهم سلاطين دولة المماليك فى مصر والشام والحجاز، وأن يُكَوّنَ حلفا مشتركا من المغول وملوك وأباطرة وبابوات الغرب الأوروبي والصليبيين في بلاد الشام، إلا أنه لم يدرك أن المسيرة التي بدأها أجداده جنكيز خان وهولاكو خان ضد تفوق الإسلام والمسلمين في آسيا قد بلغت نهايتها [١٣]. وأنه كان يستغل الأمور

الدينية لمصلحة الشؤون السياسية وتحقيق أحلامه، علما بأنه كان وثنيا متعصبا أشد التعصب لديانته، إذ يذكر لنا ماركو بولو قوله الذى يصف فيه عمه تكودار: "إنه خرج على شرعتنا، بل لقد نبذها وتخلى عنها، وأصبح مسلما يعبد محمدا. وكم سيسوؤنا أن نسمح للمسلمين بالولاية على التتار" (١٤).

وكان أرغون خان قد ورث عن أبيه آباقاخان, وجده هولاكو خان كثيرا من الصفات من استكبار، وعجرفة، وغطرسة وقد قال عنهم أحد مؤرخينا المعاصرين " "والتتار لا يُذَلُّون ولا يميلون ولا يَملُّون ولا يَنْتَهون إلى غاية ولا ينتهون ولا يُغيِّرون من أنفسهم بل يغيِّرون ولا يقفون عندما به يضرُّون ويضيرون. وكلما مارت شوكتهم قويت. وكلما قال ملك من عظمائهم أن الأرض له قد زويت, يرون الصلح عارا وأى عار. ويعتبرونه خوارا في الطباع بما جبلوا عليه من نفار, ويظنون الاستكبار فى الاستكثار والجموع الملفقة من القوة والاستظهار وكلما ردوا بالعزائم الإسلامية عادوا, وكلما أرشدتهم الوقائع الإيمانية إلى صواب المسالمة عادوا, لا يميل لهم جارحة على أنها بنكاية السهام الإسلامية مجروحة لا جارحة" (١٥).

والحقيقة أن عهد أرغون بن أباقا (أبغا) (٦٨٣-٦٩٠هـ / ١٢٨٤-١٢٩١م) يمثل مرحلة هامة في حياة دولة مغول إيران، ذلك لأن الخان السابق تكودار وجه كل اهتمامه لأن يحمل التتار على اعتناق الإسلام، واحتج على ذلك بعض قدامى المغول من الوثنيين من البوذيين والنساطرة والتفوا حول أرغون، ولم تلبث الحرب الأهلية أن نشبت، وهي في الواقع كانت تمثل اختبارا بالغ الأهمية، سوف نتعرف منه ما إذا كانت فارس المغولية كانت لا تزال محافظة على صفتها المغولية، أو أنها كانت قد أضحت سلطنة إسلامية، أو أنها كانت لا زالت حريصة على الميل إلى النساطرة واليعاقبة في الداخل، وعلى محالفة

الأرمن والفرنج في الخارج, أم أنها سوف تدخل انذاك في تحالف مع دولة سلاطين المماليك. [١٦] والواقع أن أرغون خان كان يحرص – وكما سنرى فيما بعد – على منع خانية فارس من الدخول في الإسلام، وإن لم يكن للمعتقد الدينى عنده أي أهمية، إلا أننا يجب ألا نغفل عن حدوث كثير من الاختلاط بين المغول والإيرانيين، حيث أقبل بعض المغول على الزواج منهم، مما ساعد على ذوبان الكثيرين من المغول في الشعب الإيرانى [١٧].

تلك ظاهرة كانت آنذاك جديدة وواضحة وأشار إليها الذهبي في حديثه عن يوم الجمعة الرابع من شهر شعبان سنة ٦٩٤هـ/١٩ يونية عام ١٢٩٥م في قوله: "وفيه دخل ملك التتار غازان في الإسلام، وفشا الإسلام في التتار" [١٨]. ويفسر لنا بعض المؤرخين السرفي هذا التحول، من أن غازان خان (٦٩٤-٧٠٣هـ/١٢٩٤-١٣٠٤م) كان يرى أن تحول الأسرة المغولية الحاكمة في إيران كان ضروريا للحكم في أرض إسلامية، وتبعه مائة ألف من أتباعه في الحال إذ تبعوا قائدهم بروح الجنود التتار الصادقة إلى حظيرة الإسلام، وسرعان ما صاروا الدعائم القوية للدين الإسلامي. كما أن الألوف المألفة الذين اعتنقوا الإسلام من المغول كانو قد أصبحوا سياجا منيعا وَفي الإسلام شر أخطار الوثنية[١٩]. ورب قائل يقول إن الذهبي, وهو مؤرخ شامي كان بعيدا بعض الشئ عن مسرح الأحداث، وإن كان قد عاصرها وهنا يكفينا الاستشهاد بأحد المصادر الفارسية، وهو (خواندمير) عندما تحدث عن الفترة المضطربة التى شهدت الصراع بين تكودار وأرغون, يقول بصريح العبارة: "في تلك الأيام ارتفع شأن الدين الإسلامي" [٢٠].

الفترة التاريخية التى نتعرض لها تعد من أخطر فترات تاريخ إيران, وأكثرها اضطرابا، فضلا عن أنها ترصد لنا المتغيرات التي كانت قد بدأت تأخذ

مكانها في حكام مغول إيران وبوجه خاص بداية من عهد تكودار, وكما سنشير إلى ذلك فى السطور التالية، حتى أننا نجدهم مغولا شكلا، فُرسًا حضارة وثقافة. كذلك نجد بعض ملوكهم قد تعصب للإسلام واعتبر نفسه حاميًا له مدافعًا عنه مقربًا رجال الدين الإسلامي له, ويؤثرهم على غيرهم من رجال بلاطه, بعد أن كان وثنيا مغوليا قلبًا وقالبًا [٢١].

تكودار (٦٨١-٦٨٣هـ/١٢٨٢-١٢٨٤م)

اختلفت المصادر في كيفية النطق باسمه وطريقة كتابته ، ذلك لأن المصادر العربية تناولته بأشكال مختلفة، منها (بيكودار) و(بيكدار)، و(بكدار)، ومنها (أحمد)، أما المصادر الفارسية فمنها ما ذكر على أنه (أحمد سلطان) أو (السلطان أحمد)، أو(أحمد تكودار)، بينما جاء في المصادر التركية على أنه (توقودار)، أما النطق المغولي فهو(تكودار) أي الكامل أو الأول، وهو الذي آثرنا استخدامه، نظرا لأنه شخصية مغولية الأصل [٢٢]. كذلك جاء في بعض المصادر أنه (أحمد أغا)، وأغا كلمة تركية تعني الرئيس أو القائد أو شيخ القبيلة, وهي المقصودة هنا، وإن كانت تعني أيضا الخادم الخصي الذى يسمح له بالدخول على النساء [٢٣].

هو الإبن السابع لهولاكو خان بن جنكيز خان[٢٤]. وهو الإيلخان الثالث من سلسلة مغول إيران، وهو أول إيلخان مغولي يعتنق الإسلام ويتسمى باسم إسلامي وهو أحمد، بل هو أول من ترك استخدام لقب (إيلخان) المغولي بمدلولاته التى سبق أن أشرنا إليها، وتلقب بلقب السلطان بمفهومه الديني والسياسي [٢٥].

وينبغى أن نشير إلى أن المصادر التى تناولت الحديث عنه بوجه عام والفارسية منها بوجه خاص، بل وحتى المؤرخين المعاصرين له, لم يهتموا

بذكر شيء عن حياته وسنة مولده. وبما أنه قد قتل – وكما سنرى فيما بعد – في السابعة والثلاثين من عمره, فمن المحتمل أنه ولد عام ٦٤٦هـ/١٢٤٧م[٢٦]. وقد جرى تنصيره وهو صغير السن على المذهب النسطوري وتلقب باسم نيقولا Nicholas، تيمناً باسم البابا نيقولا Nicholas، غير أنه كان يميل للإسلام [٢٧]. وعندما غزا والده هولاكو خان إيران وبلاد الشام كان موجودا في الصين في حضرة الخاقان قوبيلاي، والذي رأى فيه المقدرة على خوض المعارك، والحنكة والدراية، لذلك قرر أن يرسله إلى إيران, في عهد أخيه آباقاخان بن هولاكو (٦٦٣-٦٨١هـ/ ١٢٦٤-١٢٨٢م) لمساعدته والوقوف بجانبه إثر الاضطرابات التي نشبت في الشرق, والتي كان يذكيها وينميها حكام الدولة المغولية في التركستان، ومغول القفجاق* في حوض نهر الفولجا، فضلا عن خطر دولة المماليك في مصر والشام والحجاز وتهديدها لمغول إيران [٢٨]. ومن المرجح كذلك أن قوبيلاي أراد أن يبعده عن الصين، ويشغله بميراثه مع إخوته في إيران، حيث تشير بعض المصادر إلى وجود سبعة من أولاد هولاكو خان في إيران في تلك الفترة، وهم آباقاخان، وتكودار، وهولاجو، وجوشكاب، وقنقورتاي، ومنكوتمر، وقايدو [٢٩]. كذلك يشير رشيد الدين الهمزاني (ت٧١٨هـ/ ١٣١٨م) على لسان أحد أمراء المغول إلى ذلك صراحة بقوله: "والآن قد استولى قوبيلاي قاآن على نواحي الشرق وممالك الخطأ** والماجين***، تلك الأقاليم التى لا يعلم طولها ولا عرضها إلا الله، ويُحكِمْ آباقا وإخوته الملك الذي ورثوه عن أبيهم " [٣٠].

ويؤكد ما ذهبنا إليه من أن الخاقان الأعظم أرسله إلى إيران ليتخلص من أحد أبناء هولاكو، وليخلو له الجو في ممتلكاته في الشرق، وليشغله بميراثه من والده، وذلك لما عرف عنه من مقدرة حربية عالية، فقد وصفه ابن حبيب

(ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) بأنه كان "عالي الهمة، شجاعا، مقداما، خبيرا بالحروب"[٣١]. مما يجعله شخصا يحسب له ألف حساب.

تكودار على مسرح الأحداث

كان أول ظهور له على مسرح الأحداث السياسية عقب وفاة أخيه أبغا (آباقاخان) الذي توفي في همذان, فى ليلة الأربعاء عشرين من ذي الحجة سنة ٦٨٠هـ/١٢٨٢م غمًا وكمدا, لما بلغه من كسر عساكره في وقعة حمص سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م على يد المماليك والتي ضاع فيها زهرة شباب المغول، والتى قال عنها الأمير شمس الدين آقسنقر المنصوري، وهو أحد أمراء المماليك المغولي الأصل، ليوضح الإعداد الفائق للجيش المغولى, وفداحة الخسارة التي نزلت به: يقول "كنت بين التتر فوق العشرين سنة فما رأيتهم اعتدّوا ولا جمعوا مثل هذه المرة" والتي انجلت "عن قتل الجم الغفير من التتر لا يحصون كثرة" [٣٢].

وتوجه تكودار من كردستان إلى جغاتو للمشاركة في مراسم دفن أخيه. ولما كان العرش شاغرا فإن كبار أمراء البيت المالك المغولي والخواتين تشاوروا فيما بينهم بشأن من يقوم بمهمة الحكم. وانقسموا فيما بينهم على من يولونه الحكم، واستمرت المشاورات بينهم قرابة شهر، فمنهم من يرى تولية تكودار إستنادا إلى (إلياسا)* التى وضعها جنكيز خان باعتباره أكبر أمراء البيت المالك بعد وفاة منكوتمر (ت ٦٨١هـ /١٢٨٢م) متأثرا بجراحه في معركة حمص سالفة الذكر، ومنهم من يرى تولية أرغون بن آباقا تحقيقا لرغبة أبيه في أن يخلفه على العرش – ولما كانت مسألة ولاية العهد لم تكن قد استقرت بعد كنظام للعمل به في الحكم لدى المغول في إيران، فقد رأى أكثر الأمراء أن الحل هو تولية تكودار إستنادا إلى إلياسا الجنكيزية. وفي يوم ٢٦ من المحرم سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢ اتفق الأمراء جميعا في مجلس (القوريلتاى) أي المجلس

الاستشاري الأعلى على الأخذ بهذا الرأي، وفي يوم الأحد ١٣ من ربيع الأول سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢ جلس تكودار على العرش، وأقيمت مراسم الأفراح والتهنئة جريا على عادة المغول (٣٣).

وفي تصورنا أن تكودار كان هو الشخص المناسب لتلك الفترة المضطربة من حياة مغول إيران، والتي وضح فيها تمام الوضوح مدى نفوذ الأمراء والقادة المغول، كما كان هو ضحيتها, كما سنشير إلى ذلك لاحقا. كان تكودار هو الشخص المناسب، فعلى الرغم من أنه سبق تنصيره, وهو في سن صغيرة, إلا أن هواه كان مع المسلمين، بل كان لا يرى محاربة أهل الإسلام (٣٤). وبذل جهدا كبيرا في تأليف قلوب المغول حوله بما بذله لكبار أمرائهم من منح وعطايا وألقاب الشرف، بل وشملت عطاياه عامة الجند، حيث أعطى كل جندي ١٢٠ دينارا (٣٥).

وقد أدرك تكودار بثاقب بصره – ولقربه من الأحداث، ولمشاركته في اتخاذ القرار, حتى قبل أن يلي السلطنة أنه عقب معركة عين جالوت – (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) أن سلطنة المماليك قد أضحت أقوى دولة في الشرق الأدنى، كما أن السلطان سيف الدين قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ / ١٢٧٩-١٢٩٠م), بتوليه عرش هذه الدولة, أصبح أكبر زعيم إسلامي (٣٦). وأن أخاه الراحل آباقا (أبغا) (ت ٦٨٠هـ /١٢٨١م) قد ارتكب خطأً فادحًا بمعاداته، بل ومهاجمة أراضيه، وأنه دفع حياته وحياة كثير من قادته, ومنهم أخوه منكوتمو, ثمنا لهذا الخطأ في موقعة حمص الشهيرة. أضف إلى ذلك أن نجم قلاوون كان في صعود، وأنه نجح في تكوين جبهة معادية لمغول إيران والصليبيين في بلاد الشام بتوقيع معاهدة صداقة في أواخر المحرم سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م مع الإمبراطور ميخائيل الثامن Michael VIII الذي تولى العرش البيزنطي من ا

كانون الثاني (يناير) ١٢٥٩-١١ كانون الأول (ديسمبر) ١٢٨٢م، وذلك، لتحقيق التبادل التجاري وعدم شن الحرب بينهما أو الدخول في تحالفات ضد أحدهما الآخر، وحلف الطرفان على تلك المعاهدة وأصبحت سارية المفعول من مستهل شهر رمضان المعظم سنة ثمانين وستمائة للهجرة النبوية [٣٧].

ينبغي أن نشير إلى أن الإيلخانيين حتى ذلك العهد، أي حتى تولي تكودار العرش, لم يكونوا قد حققوا نصرا على القوات المملوكية، ولم يمنعوا إعتداءاتهم على أطراف ممتلكاتهم، وبخاصة على طول نهر الفرات، والذي أصبح الحد الفاصل بين الدولتين منذ معركة عين جالوت (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)، لذا رأى تكودار ببعد نظره أن تحل سياسة الوفاق بين الطرفين محل العداء وسياسة القتال[٣٨].

وكان تكودار شديد الذكاء، حيث أراد أن يُسرِّب إلى السلطان المملوكي خبر إسلامه على أثر اتصاله بالمسلمين, وذلك عن طريق بعض عيونه المنتشرين في طول البلاد الخاضعة للمغول وعرضها ، "فأظهر شعائر الإسلام, وألزم أهل الذمة بلبس الغيار"وهو نوع من الملابس تميز به أهل الذمة عن المسلمين، ويقصد به العمائم الصفر لليهود ، والزرق للنصارى [٣٩]. وهو يعلم تماما أن دولة سلاطين المماليك في عهد سيف الدين قلاوون (ت ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م) لديها جهاز للمخابرات على أعلى مستوى. ومما هو جدير بالذكر أن إسلام تكودار لم يقصد به الإعلان المحلي فقط، بل إنه تعدى ذلك إلى الإقليمية، ولعلنا لا نغالي إذا قلنا إن الهدف الرئيسي منه كان تكوين رأي عام ضاغط لخدمة مصالح العاهل المغولي في العالم الإسلامي، ذلك أنه عندما جلس على كرسي الخانية في عاصمته تبريز* وأظهر إسلامه وأشاعه في محيطه، وكتب إلى أهل بغداد في عام ٦٨١هـ/١٢٨٢م يعلنهم أنه من المسلمين، وأنه اعتنق عقيدة التوحيد، لم

يكن هدفه هو الإعلان فقط ، بقدر ما كان يهدف إلى كسب ود غالبية المسلمين في منطقتي الشرقين الأقصى والأدنى، هذا الود لو قدر له العيش فترة أطول كان سيكون كفيلا برأب الصدع الذي أحدثته غطرسة أسلافه من المغول، والذين كانوا يعايرون سلاطين المماليك بأن الحكم جاء إليهما اتفاقا وليس استحقاقا, وكما هو الحال لدى إيلخانات المغول، أي بالوراثة [٤٠].

كان تكودار يدرك تمام الإدراك خطورة دولة سلاطين المماليك على الكيان المغولي في إيران، فمنذ أيام السلطان الظاهر بيبرس البندقداري (٦٥٨-٦٧٧هـ/١٢٦٠-١٢٧٩م) وضع سلاطين المماليك سياستهم على أساس انتهاز أية فرصة لقصد العراق وطرد المغول منه، وفي ذلك يقول أحد المؤرخين المعاصرين: "وفيها (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) وردت الأخبار على السلطان (بيبرس) أن هلاوون (هولاكو) هلك في سابع ربيع الآخر بمرض الصرع... وأن التتار اجتمعوا على ولده أبغا، وأن بركة قصده وكسره. فعزم السلطان على التوجه إلى العراق لاغتنام الفرصة في هذا الوقت فلم يمكنه ذلك. وورد الخبر أن الفرنج ربما لما بلغهم فتوح السلطان قالوا: " نقصد الديار المصرية لنسترجع ذلك منه. فتأخر السلطان بهذا السبب عن قصده العراق" [٤١]. وما يذكره المصدر نفسه في سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م في أيام السلطان نفسه من قول: "وفيها وصل رسول من أبغا ملك التتار إلى دمشق، وبصحبته مجد الدين دولة خان، وسيف الدين سعيد ترجمان، يقول: "إن الملك أبغا، لما خرج من الشرق، تملك جميع العالم ودخلوا تحت طاعته، ولم يخالفه مخالف، ومن خالفه مات. وأنت لو صعدت إلى السماء وهبطت إلى الأرض ما تخلص منا، والمصلحة أن تجعل بيننا وبينك صلحا". ومن جملة المشافهة يقول: "أنت مملوك وانبعت في سيواس*، فكيف تشاقق ملوك الأرض". فكان من جوابه أن: "تنتظر لنفسك بعين الشفقة، وتخرج عما فى يدك من العراق والروم والجزيرة والموصل وديار بكر،

وتحقن دمك ودم جيشك". وكان السلطان بدمشق فردهم بهذا الجواب"، واضح من كلام هذا المؤرخ وهو من كبار المماليك تعليقه على ما حدث من إقامة تحالف بين الظاهر بيبرس وبركة خان مغول القفجاق، أن الهدف من ذلك التحالف هو "لقلع آثار بيت هلاوون" [٤٢].

ومما لا شك فيه أن تكودار كان قد وضع نصب عينيه وصية والده هولاكو خان, التي أوصى بها أمراء المغول من قبل وهي: إن خروج مصر عن دائرة نفوذ المغول يعنى بقاءها مركز الهجوم الرئيسي عليهم [٤٣]. لذا فقد فرضت الأوضاع السياسية عليه, أنه ما دام لا يستطيع قهر مصر، فإن أقل ما يجب عمله نحوها هو تحييدها، وأن ذلك لن يتأتى إلا عن طريق تسريب معلومات تفيد بأنه أسلم، ولأنه أول حاكم مغولي يسلم, ويدعو قومه من المغول إلى الدخول في الإسلام، فهو بهذا, وكأي داعية إلى دين جديد, لابد وأن تُحْدِثَ دعوته زلزالا عنيفا في قومه، ولابد أن يلقى معارضة شديدة، وكان في حاجة إلى أن تمتد إليه يد المسلمين حكامًا ومحكومين في كل مكان بوجه عام، ومن السلطان المملوكي كأكبر زعيم إسلامي بوجه خاص. وهذا واضح تمام الوضوح في السفارة التي أرسلها بناء على توصية مستشاره الخاص الشيخ كمال الدين عبد الرحمن الرافعي** [٤٤] والتى ذكر فيها أنه أسلم في مرحلة الصبا وزمان الحداثة، وأنه يطلب الصلح وحقن الدماء. وأنه رفض ما اقترحه القوريلتاي من حشد الجيوش الجرارة وإنفاذها إلى بلاد الشام، وأن تلك الفكرة كانت مخالفة لضميره الذي يرغب في حقن الدماء ، وتقوية شعائر الإسلام. كما يوضح في خطابه أنه أمر بإصلاح أمور أوقاف المسلمين، وعمارة المنشآت الموقوفة، وإيصال ريعها إلى مستحقيه؛ وتعظيم الحاج وتأمين سبله، وتأمين التجار المسلمين الوافدين إلى بلاده من دولة المماليك، على أنفسهم ومتاجرهم وأموالهم. و كان يرى أنه متى انتظم الصلح فلا حاجة لإرسال الجواسيس [٤٥].

بمراسلته للسلطان المملوكي سيف الدين قلاوون كان تكودار يدرك أنه بهذا العمل سيغضب كبار أمراء المغول الذين لم يسلموا، لأن معنى هذا أنه سيقضي على آمالهم وطموحاتهم الزائفة في توسيع حدود مملكتهم في الجنوب الغربي لإيران ، أي في بلاد الشام ، ذلك لأن حكام المماليك في مصر والشام والحجاز كانوا فعلا بمثابة السد المنيع الذي حال دون تجاوز المغول للحدود الطبيعية الواقعة غربى إيران، مما كان سيكون عملا له أثره الكبير في تشكيل جبهة معارضة لتكودار والانقلاب عليه (٤٦). بل إنه بتقربه إلى السلطان المملوكي سيقلب موازين القوى الدولية لصالح المماليك، ذلك أن الرغبة لدى المغول والفرنج كانت واحدة، وصار تحطيم قوة المماليك هدفا مشتركا بين أبناء الغرب الأوروبي والإيلخانيين (٤٧).

وإذا كان أمراء المغول الذين تآمروا على تكودار للإطاحة به ، واستغلوا فرصة مراسلتة للمنصور سيف الدين قلاوون وطلبه الصلح, على أنه إساءةً وإذلال لهم، فمن المؤكد أنه أحس بعدم استطاعته الانتصار على المماليك، فلم تكن قد مرت سوى أيام قليلة على الكارثة التى حاقت بدولة مغول إيران في موقعة حمص، كما أنه شعر بأن استعداده الحربي لا يمكن أن يرتفع مستواه إلى مستوى استعداد المماليك، يضاف إلى ذلك أن الأمور كانت غير مستقرة في بلاده، فأقبل على طلب الصلح برجاء أن تتحسن العلاقات بينه وبين المماليك وهذا فعلا ما أشار إليه رئيس ديوان الإنشاء في مصر، أى وزير الخارجية بمصطلح عصرنا الحالى، في عبارته التي قال فيها: إن طلبه الصلح كان مكرا وخديعة. وهو دليل آخر من شاهد عيان على بعد نظر هذا السلطان المغولي(٤٨).

الواقع أن تكودار كان في موقف لا يحسد عليه داخليا وخارجيا, ففي الداخل كان فريق الأمراء المغول الحاقدين عليه والرافضين لتصرفاته، أما في الخارج

فكان هناك خان المغول الأعظم (قوبيلاى) الذي كان يهمه القضاء على فكرة الإسلام التي اعتنقها السلطان أحمد تكودار، والتي أصبحت تهدد الكيان المغولي – كحكم وثني – بالزوال، وبالتالي تقضي على نفوذ الخاقان في كيان الدولة الإيلخانية, وتفصم عرى الصلات الوطيدة بين الدولتين على نحو ما حدث والذي مهد له فعلا تكودار بحذف لقب (إيلخان) من ألقابه, وكما سبق أن أشرنا اليه، وذلك بعد مدة فى عهد السلطان محمود غازان خان (٦٩٤-٧٠٣هـ/١٢٩٤-١٣٠٣م), أو بعبارة أخرى أنه مهد لما ستأتي به الأيام وتنبأ به [٤٩]. إلا أننا يجب أن نذكر أن تكودار باعتناقه الإسلام, لم يكن في المأزق الحرج السابق نفسه, والذي عاش فيه أخوه آباقاخان، والذى كان مهددا من جانب مغول القبيلة الذهبية* والمماليك، وكذلك كان يهدده حكام أولوس (قبيلة) جغتاي فيما وراء النهر وتركستان, وقد كانوا مسلمين أيضا، لذلك لم نسمع في فترة حكمه, بالرغم من قصرها, عن حدوث هجوم من قبلهم ضده [٥٠].

في رأينا أن تكودار كان ذا أفق واسع ملمًا بتطورات الأحداث الدولية حتى قبل أن يلي السلطنة، فقد كان أخا لآباقاخان، وأحد قادته المقربين، وعلى دراية بما يدور من أحداث داخليا وخارجيا. وربما يكون قد أدرك أن الدخول في علاقات دبلوماسية مع الغرب الأوروبي المسيحي لن يأتي بالآمال المرجوة منها. حيث ان الروح الدينية – والمعنوية عند الفرنج الصليبيين كانت قد ضعفت، ومن ناحية أخرى كانت سلطة البابوية قد ضعفت حتى أصبحوا أتباعا للأباطرة والملوك [٥١]. وإنه إذا كانت هناك محاولات لعقد تحالف مع الغرب الأوروبي، فإن تلك الفكرة كان المحرك لها ملك أرمينية الصغرى ليو الثالث LeoIII، الذي كان يبغي انتزاع بيت المقدس – بأي وسيلة – من أيدى المسلمين [٥٢]. وأن سلفه, وهو آباقا الذى نحا هذا النحو, كان يريد أن ينهج منهج والده (هولاكوخان)، وأن دافعه إلى ذلك أنه كان مهددا من جانب مغول القبيلة الذهبية

أو مغول القفجاق والمماليك وكلهم مسلمون، أما تكودار فقد كان مسلمًا، وأن الإسلام كان كفيلا بالقضاء على العداوة الناشبة بين مغول إيران, وبين مغول القبيلة الذهبية والمماليك. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن فكرة تكوين إتحاد عسكري مع التتار، لم تعد هى مطلب بعض رؤساء أوروبا آنذاك. والدليل على هذا هو توجه الحملة الصليبية الثامنة (٦٦٩هـ/١٢٧٠م) إلى تونس والذي أشار بوضوح إلى أن الاتحاد مع المغول لم يعد أمرا مطلوبا أو أمرا ملحًا. كذلك ربما كان يدرك ما آلت إليه الأحوال في أوروبا بحيث ظهر جليا أن الغرب الأوروبي, لم يعد قادرا على أن يرسل إلى الشرق حملة من الحملات(٥٣). كما رأى بعيني رأسه أن أخاه آباقا كان يأمل, من توطيد علاقاته بالغرب المسيحي تنظيم حملة مشتركة ضد المماليك في مصر وبلاد الشام ، إلا أن ذلك لم يتحقق (٥٤).

كذلك أدرك تكودار أن دولة سلاطين المماليك بعد معركة عين جالوت وحمص فيما بعد قد غدت في مركز الزعامة في العالم الإسلامي، وأنها الدولة الوحيدة التى استطاعت أن تنتصر على عدوين خطرين: الصليبيون من جهة والمغول من جهة أخرى. ولذا فقد كان عليه وهوالمسلم أن ينظر الى الدولة المملوكية نظرة كلها إجلال. كما أنه بتفكيره هذا كان سابقا لعصره، لأنه أول حاكم مغولي يظهر رغبته في أن يعيش في سلام ومودة مع جيرانه المسلمين، ونبذ الخصام والشقاق بينه وبين الإخوة المسلمين، وعلى هذا الأساس فقد أقدم على الخطوة الجريئة نحو تخفيف حدة التوتر مع دولة سلاطين المماليك، وبعث بنبأ إسلامه إلى الملك المنصور سيف الدين قلاوون في كتاب مؤرخ فى شهر جمادى الأولى سنة ٦٨١ هجرية، أغسطس سنة ١٢٨٢، وسأل اجتماع الكلمة وإخماد الفتنة (٥٥).

ولم يكن من السهل على السلطان المملوكي تقبل ذلك التغيير المفاجيء من أحد حكام المغول بما اشتهر عنهم من مكر وخديعة ، فبعد أن تحقق من صحة سفارته ، رد عليه ردا جميلا، وهنأه بإسلامه ، ، وطلب أن يكون التحالف بين المماليك ومغول إيران ضد العدو المشترك وهم الفرنج أي الصليبيون [٥٦]. إلا أن بعض قادة المغول اعتبروا مراسلة تكودار لسلطنة المماليك, وجهوده في وقف العداء بين الدولتين المغولية والمملوكية خروجا على حكم إلياسا، وقلبا للسياسة المغولية رأسا على عقب، بوضعه حدا للحرب بين مغول فارس والمماليك. وهم الذين سفكوا دماء المغول أنهارا في حروب الشام وآسيا الصغرى [٥٧]. ومما يؤسف له حقا أن مدة حكمه كانت قصيره, إذ "ملك قرابة سنتين واشهر" فلم يمهله القدر لأن تظهر آثار سياسته وتم قتله "عن سبع وثلاثين سنة" في ليلة الخميس ٢٦ من جمادى الأولى سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م [٥٨]. وهكذا يمكن القول بأن توكودار قد بذل جهدًا كبيرًا في سبيل الإرتقاء بالإسلام, والإندماج في المجتمع الإسلامي المحيط به، سواءً مع جيرانه المماليك من الغرب, أو من القبيلة الذهبية المغولية أو من المجتمع الإيراني المسلم في ذلك الوقت وهذا الجهد من قبل تكودار يعتبر نصراً للإسلام وأهله على الوثنية وعلى المسيحية من قبل حاكم مغولي, خالف الأنظمة المغولية, والعادات والتقاليد الوثنية، وأغاظ بهذا العمل المجتمع الوثني في إيران والمجتمع المسيحي في أرمينيا وبلاد الشام. وهذا ما سنراه عند الحديث عن صفات تكودار في الصفحات التالية.

صفاته

إن المصادر المعاصرة التى تناولت سيرة تكودار غلب عليها طابع الاختصار الشديد والمخل في الوقت نفسه ، ولكنها مصادر موثوق بها ، وأهم ما

يميزها هو النزاهة في أحكامها بعكس ما يردده بعض المستشرقين المغرضين(٥٩). ومن سلك طريقهم من مؤرخينا المحدثين في بعض الأحيان (٦٠).

أول صفة يمكن أن نقف عليها لهذا العاهل المغولي هي صفة التسامح، وهي صفة شهد له بها رجل من رجال الدين المسيحي، وهو ابن العبري, باعتباره رئيسا للكنيسة السريانية وكان معاصرا له وشارك في احتفالات تنصيب الخان الجديد أحمد تكودار. وقد توفي ابن العبري في عهد خلفه أرغون سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م يقول انه بعد توليه الحكم: "أظهر الإحسان والشفقة لجميع الأهالي, ولا سيما لرؤساء الأديان المسيحية. وكتب الفرامين بإعفاء الكنائس والأديار والقسوس والرهبان من الضرائب والخراج في كل مَصْر وناحية" (٦١) وفي كتاب آخر له يقول : "أنه لما جلس على كرسي المملكة يوم الحادي والعشرين من حزيران" لتلك السنة, سنة إحدى وثمانين وستمائة, وعنده الكفاية والدراية والكرم, أخرج من الخزائن الأموال شيئا كثيرا، وقسم على الأولاد والأمراء والعساكر, وأظهر الإحسان والشفقة إلى جميع المغول, وإلى الأمم الباقية, وخصوصا إلى أكابر المسيحيين" (٦٢).

كذلك نقف على بعض صفاته الأخرى من مؤرخ مسلم معاصر حين يقول: "وكان من أصوبهم (يقصد أصوب ملوك المغول) رأيا في ذلك, وأسلكهم لمنهج الصواب الذي كان قد غُمَّ على من قبله ما لوضوح المصلحة من مسالك, وهو الملك أحمد بن هولاكو" (٦٣).

ومن يتصفح رسالته التى أرسلها للسلطان المنصور سيف الدين قلاوون, والمدونة في أواسط جمادى الأولى سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م يجد أنها في بداياتها مليئة بالعبارات الدالة على أنه كان محبا للسلام ومصرا عليه ، فقد أبدى معارضته لمجلس القوريلتاي فيما اتخده من قرار بإرسال جيش كبير لمحاربة

سلطنة المماليك, فيقول: "ففكرنا فيما تمخضت زبدة عزائمهم عنه واجتمعت أهواؤهم وآراؤهم عليه فوجدناه مخالفًا لما كان في ضميرنا من إفشاء الخير العام الذي هو عبارة عن تقوية شعار الإسلام وأن لا يصدر عن أوامرنا ما أمكننا إلا ما يوجب حقن الدماء, وتسكين الدهماء, وتجري به في الأقطار رخاء نسائم الأمن والإيمان" [٦٤].

ويعلق على هذا أرنولد بقوله: "إن من يدرس تاريخ المغول ليرتاح عندما يتحول من قراءة ما اقترفوه من الفظائع، وما سفكوه من الدماء, إلى أسمى عواطف الإنسانية وحب الخير التى أعلنت عن نفسها في تلك الوثيقة التاريخية التى كتبها تكودار أحمد إلى سلطان المماليك في مصر، والتى يدهش الإنسان لصدورها من مثل ذلك الخان[٦٥].

كذلك كان من أهم ما يميزه الاعتماد على البطانة الصالحة من العلماء, وجعلهم أصحاب الرأي والمشورة في كل أموره، وفي ذلك يقول المؤرخ شافع بن علي: "فإنه لما أفضت نوبة ملك التتار إليه, وانعقد إجماعهم عليه, وصار إليه أمرهم, وأفضى إليه سرهم, قيض الله له من أهل الموصل شيخا يقال له عبد الرحمن الرافعي, فهداه السبيل وأورده السلسبيل, وحسَّن به الإسلام, ونَدَّمه على ما مضى في كفره من الأيام, وأراه أن المصلحة في مصالحة مولانا السلطان, وأن يسكن الحال من الجانبين رفقا بمن بقي عنده من جند القان, فبادر إلى رأيه" [٦٦]. هذا الشيخ كان مستشارا لتكودار, وأكثر الناس ثقة فيه. ويقول عنه مؤرخ معاصر: إنه كسب ثقة أم تكودار عندما رحل إلى بلاد التتار، وكذلك نال عطف وثقة تكودار الذى كان ما يزال صغيرا، وعندما كبر أقنعه بالإسلام، وعقب اعتلائه العرش, نصحه بالاتصال بالسلطان قلاوون, وعقد معاهدة صلح معه [٦٧].

يشير المؤرخ الفارسي خواند مير (ت ٩٤٢هـ) إلى عدله فيقول: "بعد وفاة آباقا، وإقامة مراسم العزاء بتاريخ الأحد ١٣ ربيع الأول سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م، جلس تكودار على العرش باتفاق الأمراء. وأفاض على أهالي العراق وآذربيجان بعدله.. ورفع من شأن الشيخ كمال الدين عبد الرحمن, وفوض إلى أتباع سيادته الأوقاف في كافة الممالك المحروسة. وكف أيدي الأطباء والمنجمين المسيحيين واليهود عن الأوقاف بعد أن كانوا يسيطرون عليها في السابق " (٦٨).

كذلك وصفه صاحب كتاب (النجوم الزاهرة) بالشجاعة والحكمة (٦٩). إلا أن صاحب (الدرة الزكية) وصفه بأنه كان "كثير التغفل، قليل التدبير"، وأرجع ذلك إلى أنه عندما قبض على ابن أخيه أرغون وقرر قتله، فدخلت عليه الخواتين أى نساء الأمراء من المغول، واستقبحن قتله لابن أخيه، ومازلن به حتى تركه في حراسة بعض أمرائه من قادة جيشه، وما ترتب على ذلك من فك أسره, وعزله لعمه ثم إعدامه له (٧٠). كما يقول عنه ابن الفرات (٧٣٥-٨٠٧هـ/ ١٣٣٤-١٤٠٤م) في (تاريخه)، "وكان أحمد أغا كثير التغفل" (٧١). أو بعبارة أخرى, أنه لم يكن حازما فى الأوقات التى تتطلب الحزم، بل كان يظهر شفقة غير عادية تجاه أعدائه. ومما لا شك فيه أنه كان يعلم أن الحقد من أضر الأشياء للملك، وأن أوفق الأشياء له الصفح والعفو والغفران والتناسي. وذلك من مخالطته لعلماء المسلمين (٧٢). و جدير بالذكر أن الشفقة الزائدة لم تكن هي السمة الواضحة لتكودار في كل الظروف، وخير من عبر عن ذلك هو المؤرخ الفارسي صاحب (حبيب السير) في حديثه عن إسلام تكودار اذ يقول: "ولم يسعد هذا التصرف بعض الأمراء الوثنيين من المغول فتحالفوا مع شقيق السلطان أحمد (قنقورتاى) لخلع السلطان, وإطفاء نور الإيمان, والسعي لإعلاء مكانة عبادة الأوثان, وسائر الديانات الباطلة. وكشف السلطان تدبيرهم وكيدهم فأمر بقتل الأمراء المفسدين وقضى على فتنة (قنقورتاي) وخلص المسلمين من ظلمه

وعدوانه" [٧٣]. وهذا ما يؤكده لنا مصدر فارسي آخر معاصر في قوله: "وبعد فترة من الوقت تمرد أرغون خان على أحمد وتحالف معه عدد من الأمراء ضد أحمد. ولهذا السبب قتل أحمد أخاه وعددا من الأمراء الآخرين، وأرسل عام ٦٨٢هـ الأمير ايناق ولفيفا من الأمراء لمحاربة أرغون" [٧٤].

وينبغي أن نشير إلى أن تكودار باعتباره أول حاكم مسلم لمغول إيران لم يكن من ذلك النوع من الحكام المستبدين، الذين يمكن أن نلتمس لهم العذر فيما اقترفوه، لأنهم مهما بلغوا من القوة, ففيهم ضعف الرجل المستبد الذى إذا اشتبه في شخص يعمل للقضاء عليه، أو أحس بالخطر يأتيه من أي مكان ثارت ثائرته على أولئك الذين قد شك فيهم مهما كانت مكانتهم من نفسه، ونسي كل رباط يربطه بهم في الماضي، وسيطرت عليه فكرة واحدة هي إبعاد الخطر عن نفسه وملكه بأي ثمن، ووقف منهم موقف الدفاع عن النفس الذى تقره جميع الشرائع والقوانين. فإذا كان بعض المؤرخين قد أخذوا عليه بعض الهنات، فإن ذلك لا ينقص شيئا من قدره، ويكفينا ما قاله عنه أحد المؤرخين المعاصرين له من أنه كان "عالي الهمة, شجاعا مقداما, خبيرا بالحروب، مملكته متسعة وجنده وافر، وأمواله جزيلة" [٧٥].

وتتطلب منا الموضوعية ليس فقط رد ذلك الاتهام، بل إظهار الحقيقة حول ما ذكر من غفلته وعدم حزمه, إن عدم إقبال تكودار على التخلص من ابن أخيه أرغون الذى ثار عليه لم يكن عن تقصير منه أو تغافل أوعدم اتخاذ سياسة الحزم في المواقف التى تتطلب الحزم، إنما كان ذلك عن موعدة وعدها لأحد كبار قادة جيشه وهو الأمير "بوقا" أو بوغا الذي رأى أن أرغون قد أصبح عاجزا عن مقاومة الجيش الذى أرسله تكودار لملاحقته، وبينما أرغون ينتقل من مكان لآخر فرارا من تكودار وجيشه، تقدم هذا القائد إلى تكودار "وقال له: إن

وعدتني لا تؤذي أرغون فأنا أمضي إليه وأحضره. فعاهده أحمد كعادة المغول وقال: إن جاء إليّ أرغون فلن أوذيه أصلا. فسارع بوقا إلى الحصن وخاطب أرغون وجاء به إلى أحمد, ففرح به جدا وأكرم وفادته, وأعد لأقامته خيمة كبيرة, وأمر بأن يحرسها أروق أخو بوقا ومعه أربعة ألاف جندي (٧٦).

ويؤكد إبن العبري (٦٨٥هـ/١٣٨٦م) وغيره على حزمه التام من أنه في اليوم الثالث تغير على ابن أخيه", وفي تلك الليلة كشف سره لبعض الأكابر وقال لهم: "إن لم أهلك أرغون وسائر أولاد الملوك فلن تنتظم لي السلطنة. "أما الأمير بوقا (بوغا) فإنه لما تحقق له الأمر وعرف نية أحمد, وأنه كان قد أزمع أن يهلك أبناء الملوك قاطبة, دفعته الحماسة, فطاف عليهم وأخبرهم بالأمر فنهضوا ليلا وقصدوا مكان أرغون وأخرجوه وألبسوه الدرع ودفعوا له السلاح وأركبوه حصانا. واتفقوا على أن يملكوه عليهم خلفا لأبيه آباقا (٧٧).

ومن حقه علينا كذلك أن نبين حزمه مما يرويه (خواندمير) من أنه وغيره من المؤرخين عندما جلس على العرش, كان أول قرار أصدره إرسال الرسل إلى همذان* لإحضار خواجه علاء الدين عطا ملك الجويني** إلى معسكره، وسلم إلى خواجه شمس الدين محمد اليزدي زمام الشؤون الإدارية والمالية. وهنا ثارت ثائرة مجد الملك اليزدي*** الذي اتصل بأرغون ابن آباقا حاكم خراسان وأبلغه أن صاحب الديوان قد دس السم لوالده، وعندما وصل الخبر بذلك إلى أحمد تكودار خان أمر بالقبض على مجد الملك كما أمر بإعادة كل ما سُلب من علاء الدين عطا ملك الجويني (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) في عهد آباقا، وسُلم مجد الملك إلى خواجه علاء الدين عطا ملك وتم قتله، وعين السلطان أحمد علاء الدين عطا ملك الجويني على حكومة بغداد مرة أخرى، وظل على رأسها إلى أن توفى في ليلة السبت الرابع من ذي الحجة عام ٦٨١هـ/١٢٨٢م (٧٨).

ومع هذا فإنه يؤخذ عليه عدم بته السريع أحياناً في بعض المواقف [٧٩]. وكثرة اللجوء إلى والدته قوتي خاتون يستشيرها في مهام الأمور، والعمل وفق ما تشير به. وإذا كانت المرأة المغولية لها شخصيتها البارزة المتميزة وقوة تأثيرها على سلاطين المغول وأمرائهم [٨٠]. إلا أن العلماء المعاصرين لتلك الفترة قد رأوا في مشاورتها عيبا، إذ يقول أحدهم وهو معاصر: "فأما مشاورتهن في الأمور فمجلبة للعجز, ومدعاة إلى الفساد, ومنبهة على ضعف الرأي، اللهم إلا أن تكون مشاورتهن يراد بها مخالفتهن" [٨١]. ويبدو أيضا أنه كان سليم الطوية, قليل الدهاء والخبرة في تمييز الرجال، فقد اعتمد على أشخاص لم يكونوا مخلصين له، وفي مقدمتهم بوقا (بوغا) الذي كان يتمتع بحرية تامة في حاشيته، وينقل كل أخباره إلى أعدائه وتحركاته. والأدهى والأمر من كل ذلك أن بوقا خدع السلطان خديعة كبرى, عندما تخلف عن مرافقته في أثناء رحيله إلى زوجته وبعد القبض على أرغون، فقد بيت النية على الغدر، وأخذ على عاتقه تحرير أرغون من سجنه، فقلب بهذا كل الموازين، وغير الأوضاع تماما لصالح أرغون [٨٢]. وكان ينبغى عليه أن يحفظ عن ظهر قلب النصيحة التى سجلها ابن طباطبا, وهو معاصر له, وهى: "ومما يجب على الملك الفاضل إمعان النظر في أمر الأسرار وصونها وتحصينها وحراستها من الإفشاء والذيوع.. فكم من مملكة خربت، وكم من نفس تلفت بسبب ظهور سر واحد. وحفظ السر وكتمانه من أفضل ما اعتنى به الإنسان [٨٣].

أعماله

كان أول عمل قام به عقب توليته العرش أن قام بتوزيع الأموال والجواهر وفاخر الثياب على نسائه وعظماء دولته، وعم خيره الجند كافة، وذلك جريا على عادة المغول المتبعة في هذا الشأن، والتي عرفت باسم نفقة البيعة، ويبدو

أن الخزانة غدت خاوية لما أنفقه في نفقة البيعة، ولذلك قيل أنه في تلك السنة ألزم التجار ببغداد بالقرض والمساعدة, وضيق عليهم في ذلك، وألزم الناس بأجرة مساكنهم عن ثلاثة شهور، وطولب أرباب الأموال بإقامة عسكر, وقرر عليهم على قدر أحوالهم (٨٤).

ولعلنا لا نغالي إذا قلنا إن السلطان أحمد تكودار كان أول حاكم من حكام مغول إيران يضيء الشعلة التي مهدت لأن يحرز الإسلام نصرا ساحقا, وغلبة مطلقة على سائر الأديان, التي كانت تتغلغل في تلك البلاد، إذ أعلن إسلامه، وإن لم يقدر له أن يرى دخول المغول كلهم في الإسلام بعد ذلك بعدة سنوات، فلم يكن هناك بد من أن ينهض الإسلام من تحت أنقاض عظمته الأولى, وأطلال مجده التالد في ذلك الحين وفي تلك المعركة الحامية التي قامت بين البوذية والمسيحية والإسلام (٨٥). لذلك نراه يلزم أكابر المغول بالإسلام طوعا أو كرها(٨٦). وإن كان قد عارضه بعض أمراء المغول وكونوا حزبا تآمر عليه وقتله. إلا أن دعوته للمغول للدخول في الإسلام قد آتت ثمارها، ذلك أنه بالرغم من أن ابن أخيه الذى قتله وهو أرغون خان قد أصدر فرمانا فور توليه بالعفو العام، إلا أن هناك قولاً عن فرقة كبيرة من المغول فرت إلى بلاد الشام هربا بدينها, "وأن فرقة تقديرها أربعة آلاف فارس حضرت مقفَّزة من التتار طالبين الشام المحروس" فى شهر جمادى الأولى سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م، وهو التوقيت نفسه الذي تولى فيه أرغون وأصدر قراره بالعفو العام (٨٧). أضف إلى هذا ما يتردد في كثير من المصادر لتلك الحقبة من أن (تكودار) واجه معارضة شديدة من قبل كبار أمراء المغول وقادتهم للدخول في الإسلام، إلا أنه تغلب عليها عن طريق بذل العطايا والمنح وألقاب الشرف، حتى إن عددا كبيرا من التتار دخل في عهده في عقيدة المسلمين (٨٨). وخير من عبر عن حقيقة انتشار الإسلام بصورة واسعة في أوساط المغول هو المؤرخ لتلك الحقبة ابن العبري حيث

يقول: "وغير خاف أن أغلب المغول في زماننا قد دانوا بالإسلام وأصبحوا يدافعون عنه, اللهم إلا إذا اضطرهم الزعماء إلى أن يقاتلوا المسلمين ويبطشوا بهم" (٨٩).

وعلى الصعيد الداخلي أيضا, ولأنه كان يدرك الحكمة القائلة بأن "العلم يُزيّن الملوك أكثر مما يزين السوقة" (٩٠). ولأنه قد ورث عن أبيه هولاكو خان حبه للعلم والعلماء; فقد جمع حوله عددا كبيرا من كبار علماء المسلمين, وسلم زمام الأمور إليهم. "وسلم زمام الوزارة لخواجه شمس الدين محمد الجويني*، ورفع من شأن الشيخ كمال الدين عبد الرحمن الرافعي, وفوض إلى أتباعه الأوقاف في كافة الممالك المحروسة. وسلم رجال الحكومة مبلغا من الديوان لإعداد قوافل الحجيج، وبذل جهودا طيبة لجمع وإرسال أوقاف الحرمين الشريفين. وعمل على تدعيم سائر أركان الشريعة. وهدم معابد الأوثان والكنائس, وشيد مكانها المساجد والمدارس الإسلامية" (٩١). إلى جانب أنه أرسل الرسل إلى همذان لإحضار خواجة علاء الدين عطا ملك الجوينى إلى معسكره وأعاد إليه كل ما أُخِذَ منه في عهد آباقاخان، وأعاده مرة أخرى على رأس حكومة العراق(٩٢). أي "صاحبا للديوان بها"، وعمر كثيرا من النواحى، ووفر الأموال، وساق الماء من الفرات إلى النجف، وعمر رباطا بمشهد علي ﷺ، ولم يزل مطاع الأمر, رفيع القدر إلى أن سقط من على فرسه فمات في ذي الحجة سنة ٦٨١هـ (٩٣).

كما عهد بحكومة خراسان ومازندران* وآران** وآذربيجان*** إلى الخواجة شمس الدين محمد ليحكمها بمفرده، وكلفه أيضا بأن يشترك مع سلاطين السلاجقة في حكم بلاد الروم، وولى ابنه الخواجة هارون**** على ديار بكر والموصل وإربل***** (٩٤). كذلك أصدر السلطان أحمد أوامره, بناء على مشورة شيخ الإسلام كمال الدين عبد الرحمن الرافعي, بحذف المبالغ التى كانت

تصرف للمسيحيين واليهود من الدفاتر الإيلخانية. ويبدو أنها كانت مبالغ كبيرة ومع هذا كان ينتهج سياسة سلمية تجاه أتباع الديانات الأخرى، إلا أنه كان عنيفا مع البوذية بوجه خاص، فخرب معابدهم، وكانت مواجهتهم ضرورة حتمية، كما أنها كانت الضربة القاضية التي أوشكت على الإجهاز عليهم, لولا فترة الصحوة والتي عادة ما تسبق الموت، وهو ما حدث بعد ذلك بحوالي أربع سنوات وهى فترة قليلة في حياة أي شعب من الشعوب، ولم ينس لهم ما قاموا به لدى الخان الأكبر (قوبيلاي عم تكودار) والسيد الأعلى لإيلخانية فارس والذى بلغ من سخطه على تكودار أن هدد بالتدخل؛ وسرعان ما علم تكودار بأن المسئولين عن استعداء قوبيلاي ليسوا إلا زعماء الكنيسة النسطورية، والبطريرك يهبالاها الثالث****** Uahbi Lahah III، ونائبه سوما Sauma. فأمر تكودار بإلقاء البطريرك في الحبس؛ ولم يطلق سراحه إلا بعد توسط الملكة الأم قوتوي خاتون، أي أم تكودار (٩٥).

وعن سياسة تكودار واهتماماته الاقتصادية, فالحق يقال: إن المصادر التي بين أيدينا سواء الفارسية أو العربية قد خلت تماما من ذكر أي معلومات، إلا ماجاء في رسالته التي أرسلها للسلطان المملوكي سيف الدين قلاوون حيث جاء فيها: "وأطلقنا أيضا سبيل التجار الذين هم عمارة سائر الأمصار، وكذلك المترددين إلى البلاد, ليسافروا بحسب اختيارهم تطمينا للعباد، آمنين على أنفسهم من حوادث الفساد. وحرمنا على القراول******* والشحاني******* في الأطراف التعرض بهم في مصادرهم، وأن يمشوا حيث شاءوا على أحسن ما كانت عاداتهم من قواعدهم.. "أو بعبارة أخرى فإنه كان يدرك ما للتجارة من أهمية في حياة الشعوب، فشجع التجار على القيام بعمليات التبادل التجاري وجلب السلع التى تحتاجها البلاد، وأمنهم على أنفسهم وأموالهم، وأمن الطرق

التجارية من قطاع الطرق، وكلف فرقًا خاصة بالقيام على تمهيدها وحراستها داخليا وفي مناطق الحدود [٩٦]. وهم الذين عرفوا باسم القراول والشحاني.

هناك إشارة أخرى بأنه قام بتعويض الأضرار والخسائر التي تسبب فيها أخوه آباقا (أبغا) تجاه المسلمين إلى حد ما، فرد الجزء الأكبر من الأراضي التي تمت مصادرتها، وأعاد بناء المساجد والمدارس، ويسر زيارة الأراضي المقدسة الإسلامية، وخصص جزءاً من دخل الأوقاف للكعبة, والذي كان يمنح حتى ذلك الوقت للأطباء المسيحيين واليهود المشرفين على الأوقاف الإسلامية[٩٧].

على الصعيد الخارجي، كان تكودار أول حاكم مغولي يأخذ المبادرة لإزالة العداوة والبغضاء المتأصلة بين مغول إيران وسلاطين المماليك في مصر والشام والحجاز. فنتيجة لإسلامه رأى أن ينتهج سياسة جديدة تقوم على السلم والوفاق، ونبذ الحرب والشقاق، والعمل على إزالة سوء التفاهم بين المغول في إيران من جهة، والمماليك في مصر والشام والحجاز من جهة أخرى، ذلك أن المماليك كانوا يدافعون عن الإسلام خير دفاع ضد المغول الوثنيين، فرأى السلطان أحمد بعد اعتناقه الإسلام ووصوله إلى العرش, أن هذه أثمن فرصة ينتهزها لكى يخفف من حدة التوتر بين الدولتين، ويعمل على توطيد العلاقات وإحكام الروابط بينهما, فكان أن أرسل في تاريخ جمادى الأولى سنة ٦٨١هـ / أغسطس ١٢٨٢م إلى السلطان المنصور سيف الدين قلاوون في القاهرة, وفدا يضم الشيخ كمال الدين عبد الرحمن الرافعى أحد مشايخ الإسلام، والعلامة قطب الدين الشيرازي (ت ٧٠١هـ/ ١٣٠١م) قاضي مدينة سيواس، وبهاء الدين أتابك مسعود صاحب الروم برسالة. تلك الرسالة وإن جاءت في المصادر بصيغ مختلفة، إلا أن مضمونها واحد ، حيث يبلغ فيها سيف الدين قلاوون نبأ إسلامه، ويشرح له فيها أهدافه الإسلامية، ويطلعه على جهوده في سبيل إحياء الشريعة

الإسلامية، ويظهر له رغبته في أن يظل في سلام ومودة مع جيرانه المسلمين، وتصميمه على ترك الخصومات القديمة، وإنهاء حالة الحرب والقتال الدائمة بين المغول والمماليك. وقد تم استقبال قلاوون لهؤلاء السفراء بعد أخذ الاحتياطات اللازمة ، والإطلاع على ما يحملونه من رسائل، والاستماع إلى مشافهتهم – أي الكلام الشفوي أو الشفاهي – الذي حَمّلهم إياه مرسلهم. ثم رد قلاوون على تكودار برسالة مؤرخة أول رمضان من السنة نفسها الموافق للثالث من ديسمبر ١٢٨٣م، رحب فيها بدخول تكودار في الإسلام ، وعد ذلك من الخير والسعادة، وأثنى على الجهود التى يبذلها في تطبيق الشريعة، كما أعلن عن استعداده للتعاون معه على خدمة الإسلام والمسلمين، وعلى تيسير سبل التجارة وحماية التجار، كما رحب بالصداقة والتحالف ضد العدو المشترك للمسلمين وهم الفرنج في بلاد الشام. إلا أنه اشترط على السفراء أن يحضر الشيخ عبد الرحمن الرافعي شيخ السلطان أحمد تكودار للاستماع إلى مشافهته في أمر الصلح لثقة المنصور قلاوون فيه، ولمكانته ونفوذه في دولة مغول إيران. وسافر الوفد من القاهرة ليبلغ تكودار بما توصلوا إليه، وفعلا أرسل الشيخ عبد الرحمن في وفد من أتباعه، فوصلوا إلى دمشق ومكثوا بها إلى أن يلقاهم سيف الدين قلاوون الذي كان في طريقه إلى بلاد الشام. لكن لسوء الحظ كانت الأخبار قد وصلت على أيدي جهاز المخابرات المملوكي بقتل تكودار على يد ابن أخيه الثائر عليه (أرغون) في ٢٦ جمادي الأولى ٦٨٣هـ / ١٠ أغسطس سنة ١٢٨٤م, ونودي به سلطانا في اليوم التالي، وعادت العلاقات المغولية المملوكية إلى ما كانت عليه من قبل [٩٨]. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل أخذ المماليك يتطلعون في عهد السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون (٦٩٠-٦٩١هـ/١٢٨٩-١٢٩٠م) إلى إجلاء المغول عن العراق, وضم هذا القطر إلى مصر، ويتضح ذلك من الخطبة التي ألقاها الخليفة الحاكم بأمر الله* (ت ٧٠١هـ) في القبة

المنصورية، حيث حرَّض فيها على أخذ العراق [٩٩]. وبعبارة أخرى إن السياسة الخارجية للسلطان أحمد تكودار قد فشلت والسبب في ذلك إنما يرجع إلى الحالة الداخلية لبلاده، وما اكتنفها من أحداث عجلت بالقضاء عليه، وانتهاء حكمه الذي لم يدم أكثر من عامين. كما أغلق باب الحوار مع المماليك إلى حين [١٠٠].

وهكذا يمكن القول: أن أحمد تكودار كان يسعى إلى التقارب مع المماليك, وإنهاء حالة الحرب بين البلدين ليتفرغ لمشاكله الداخلية، والمتمثلة في تمرد ابن أخيه أرغون، والصراع مع الوثنية، والحد من نفوذ كبار أمراء المغول وتدخلهم في الصراع حول ولاية العهد والوصول إلى العرش، والانتقال بإيلخانية مغول إيران من التبعية لمغول الصين إلى دولة مستقلة, لها كيانها الخاص بها، وسياستها الخاصة. وشاءت القدرة الإلهية أن لا يتم هذا العمل إلا في عهد غازان بن أرغون خان أما خلفه أحمد تكودار في خانية إيران المغولية فهو أرغون الذي سوف نعالج فترته في الفقرة التالية، والذي سوف يعود بالوثنية إلى إيلخانية إيران, بعد أن كان أحمد تكودار كاد أن يخرجها من الوثنية إلى الإسلام.

من هو أرغون ؟

هو ابن آباقا (أبغا) خان بن هولاكو خان، وبعد وفاة والده في العشرين من ذي الحجة سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م، كان أرغون يعتبر العرش ميراثه الشرعي, باعتباره أكبر أبناء أبيه [١٠١]. وعندما اعتلى عمه تكودار العرش لم يرض عن ذلك, باعتبار أنه أحق منه بهذا المنصب، لأن أباه (آباقا) نفسه, عندما كان على قيد الحياة، والمؤيدين لسياسته من الأمراء, كانوا يرون أن أرغون هو الوريث الشرعي لأبيه, وأحق الناس بمنصب الإيلخانية, وكان أبوه يعده الإعداد اللازم ليخلفه في زعامة مغول إيران من ذلك على سبيل المثال أنه كلفه بقيادة فرقة من الجيش لمحاربة طائفة من المغول اشتهرت بالنكودريين نسبة إلى (نكودر) أحد

أحفاد جغتاي بن جنكيز خان، والذين كانوا يعيشون في الأراضي التي تسمى أفغانستان حاليا، والذين ظلوا طوال المدة من سنة ٦٥٩ إلى سنة ٦٨٩هـ/١٢٦١-١٢٨٩م يغيرون كل عام على مناطق خراسان وكرمان* وفارس. فسار إليهم أرغون حتى بلغ سجستان مقر هذه الطائفة، وحاصر المدينة واستطاع التغلب على الثائرين، كذلك قصد مدينة هراة وأخضع من بها منهم حتى قدموا له فروض الطاعة. كما اعتمد أبوه عليه في قيادة الجيش الذي توجه إلى منطقة الحدود مع بلاد القبيلة الذهبية (قوم قايدو), وهناك ظل أرغون يعسكر بجيشه، وكون عدة حاميات لكثير من المدن والبلدان المجاورة، واصطدم بالجيش الذي حشده (قايدو) تحت قيادة أخ له يدعى (براق). وألحق أرغون بهذا الجيش خسائر فادحة (١٠٢). كان أرغون من فرسان المغول المعدودين ذكر ابن تغرى بردي نقلا عن شاهد عيان (١٠٣). "أنه شاهد أرغون بن أبغا المذكور وقد صُفَّت له ثلاثة أفراس فوقف عند أولها راجلا وطفر في الهواء فركب الثالث منها ، ولم يتعلق بشيء منها.." و"حكي عنه أيضا أنهم كانوا يصفون له سبعة أرؤس خيل ويقول لهم: أيهم تريدون أركب ؟ فيعينون له واحدة، فيقفز من الأرض على ظهرها، ولو كانت آخر السبعة" ولأن المغول كانوا يقدسون الفروسية, وما يشتهر به الفارس من شجاعة وبسالة وإقدام وجرأة وشدة احتمال، وغطرسة وعناد وكبرياء ومكر وخديعة، لذا لقي أرغون تأييدا من قبل عدد لا بأس به من أمرائهم، وهو ما يزال أميرا لم يجلس على العرش بعد، وعظم في أعين المغول. وذلك لما للفروسية عند المغول من مركز ممتاز. وقد كانوا على اختلاف أعمارهم يقضون حياتهم على ظهر الحصان ولا يكادون ينقلون قدما على الأرض (١٠٤). ويقول عنه صاحب (المنهل الصافي) إنه كان: "يتدين بعبادة الأصنام والسحر، ويعظم طريقتهم خصوصا الطائفة المنتسبة إلى براهنة الهند، وكان يجلس في السنة أربعين يوما في خلوة, يتحنث فيها ويتجنب أكل اللحوم،

فورد عليه شخص من الهند وأوحى إليه أنه يتخذ معجونا من داوم تناوله طالت حياته، فأكله فأوجب له انحرافا وصرعا، فمات منه" (١٠٥). و بعبارة أخرى أنه كان يثق ثقة مطلقة في الكيمياء والنجوم والسحر والشعوذة مثل أغلب سلاطين المغول، ولهذا ارتفعت منزلة الكهنة البوذيين واللامات في بلاطه، وقد صنع أحد هؤلاء معجونا مركبا من الزئبق والكبريت والمواد الأخرى، وأعطى أرغون هذا الدواء من أجل إطالة عمره، فتسبب هذا الدواء في اشتداد المرض عليه، وإصابته بالفالج "الشلل"، وأدى في النهاية إلى وفاته. وكان ذلك في السادس من شهر ربيع الأول سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م (١٠٦). ويذكر بعض المؤرخين أن أرغون كان قد اعتنق الإسلام وهو ما يزال أميرا، إلا أنه عدل عنه ، وأحب دين البراهمة من عبدة الأصنام, والاعتقاد في السحر والرياضة والكيمياء، ووفد عليه بعض سحرة الهند، وركبوا له دواء لحفظ صحته وإطالة عمره، فأصابه منه صرع فمات (١٠٧).

في الواقع أن عهد أرغون يمثل آخر العهود التي لقي فيها الوثنيون والمسيحيون من حظ وحسن معاملة، وكانت أيامه امتدادًا لأيام والده آباقاخان وجده هولاكو خان فيما يتعلق بعلاقته بالوثنيين حيث كان بوذيا متعصبا لبوذيته، وبسبب زوجته المسيحية أوروك خاتون النسطورية نال المسيحيون بوجه عام, والنساطرة بوجه خاص رعايته، واستغل الأخيرون الفرصة, وأقاموا كنيسة بجوار خيمته بحجة انتظام مراسم الدعاء له. كما كان يعتقد اعتقادا راسخا في كهنة المغول وأساليبهم، وكان دائما يرعى تلك الطائفة ويعمل على تقويتها. وفي فترة تحنثه التي كان يعتكف فيها كان لا يدخل عليه إلا الكهنة الذين كانوا يلازمونه ليل نهار، ويتباحثون معه في المعتقدات (١٠٨). وقد اضطهد أرغون المسلمين في بلاده، وصرفهم عن جميع المناصب, التي كانوا يشغلونها في القضاء والمالية، كما حرم عليهم الظهور في بلاطه، ولم يكن ذلك عن كراهية

دينية للإسلام لأن الدين بالنسبة له – كما سبق أن أشرنا – يأتي في المرتبة الثانية، بل عن كراهية سياسية، ذلك أنه لم يستطع أن ينسى ما حل بجيوش جده هولاكو خان من دمار في معركة عين جالوت (٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، وما نجم عن ذلك من طرد المغول من بلاد الشام على أيدى القوات المملوكية الإسلامية المدافعة عن الإسلام والمسلمين [١٠٩]. تلك الكراهية زاد من حدتها ما حققه المماليك من انتصار ساحق على جيش والده آباقا في حمص سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م والذي فقد من جيشه في أثناء الفرار أمام قوات المماليك أكثر مما خسر في المعركة نفسها, وإن تلك المعركة التى ضاع فيها زهرة شباب المغول كانت السبب في موت والده غما وكمدا بعدها بأيام. أضف إلى ذلك ما كان يتردد عن اعتزام المماليك طرد المغول من العراق وضمها لسلطنتهم، وربما أحس مثلما أحس والده من قبل بخطورة سلطنة المماليك الإسلامية، فكان حريصًا مثله على قيام تحالف مع الملوك والأباطرة والبابوية في الغرب الأوروبي [١١٠]. لتدعيم مركز الفرنج في بلاد الشام، ليقفوا حجر عثرة أمام المماليك الذين كان ضمن أهدافهم طرد المغول من العراق وربما من إيران[١١١]. وعلى هذا الأساس كان يعطف على المسيحيين.

وعلى الرغم من العداء الشديد الذي كان يكنه أرغون للمسلمين، إلا أن الحيدة والموضوعية والنزاهة التى لا شك فيها, تظهر في أجل صورها فيما أطلقه المؤرخون المسلمون المعاصرون على أرغون من أوصاف، وقد سبق أن رأينا بعضهم وهم يصفون أرغون بالفروسية والإقدام والشجاعة، مع أن مؤرخينا هؤلاء ما كانوا لينسوا ما حل بأوطانهم من مذابح, وتقتيل وتشريد, وضياع عروش على أيدي حكام المغول، كذلك ما كانوا لينسوا أو يتناسوا أن أرغون كان بوذيا, مخلصا كل الإخلاص لديانته البوذية, ومعاديا للإسلام أكثر من أي إيلخان آخر[١١٢].

ومع هذا فقد وصفه بيبرس الدواداري (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م) بأنه كان قائدًا حربيًا محنكًا، ذا خبرة بقتال أعدائه, وله مكر ودهاء في ذلك، يجيد المراوغة وانتهاز الفرص، وأنه كان يجيد فن الدعاية المضادة حسب مصطلح عصرنا، وأنه استغل هذا الفن فى "تشويش خواطر المغول" على عمه أحمد تكودار لأسباب منها: إساءته إلى أكابر المغول، وإلزامهم بالدخول في الإسلام طوعا أو كرها، ومنها وثوبه على أخيه قونغرتاي وقتله (١١٣).

كما يذكر رشيد الدين الهمذاني في حديثه عنه عقب وفاة والده, وترشيح بعض أمراء المغول له لولاية العهد ضاربين بإلياسا التي وضعها جنكيز خان عرض الحائط، أن ذلك راجع الى تميزه على الجميع بالعقل والرأي فالملك جديربه ومناسب لشخصه(١١٤).

ويقول عنه الحافظ شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) في حديثه عن سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م، وهي السنة التي توفي فيها أرغون: "توفي أرغون صاحب العراق وخراسان وأذربيجان. كان شهما مقداما كافر النفس شديد البأس. سفاكا للدماء عظيم الجبروت. ويقال أنه سم فاتهمت المغول وزيره سعد الدولة بقتله فمالوا على اليهود قتلا ونهبا وسبيا". ويقول عنه الحسن بن حبيب أنه كان شجاعا مقداما، شديد السطوة، حسن الصورة (١١٥).

تمرده على عمه تكودار

واضح أن والده أباقاخان توفي وأرغون في سن الثالثة والعشرين من عمره، وكان قد أخذ يعده للمهمة الخطيرة التي كان عليه أن يضطلع بها في مستقبل حياته، فنصبه واليا من قبله على إقليم خراسان الذي كان يعد أهم الثغور في دولة المغول في إيران، فظهرت مقدرته في إدارة تلك المناطق، وصار يبذل الجهود الجبارة في إحكام شؤون الجيش والإدارة (١١٦).

وما إن تولى تكودار عرش الإيلخانية في ٢٦ من المحرم سنة ٦٨١هـــ/١٢٨٢م, بناء على إجماع الأمراء على توليته، واستنادا على ما تنص عليه إلياسا الجنكيزية باعتباره أكبر الأمراء من أولاد هولاكو خان، حتى بدأ أرغون يتحرش بعمه, وأرسل أرغون يطلب منه إرسال الوزير شمس الدين عطا ملك الجويني ليحاسبه على أموال أبيه، باعتباره كان وزيرا لأبيه، وبحجة أنه لم يدفع تلك الأموال للخزانة، ويذكر تكودار بالشائعات التى تنسب إلى الوزير بأنه المسئول عن دس السم لأبيه. وهنا أدرك تكودار أن أرغون يريد قتل وزيره، فرفض إرساله إليه بحجة أن في ذلك تعطيلا لأمور البلاد الإدارية والمالية. كذلك أرسل أرغون إلى عمه يطلب منه ضم العراق وفارس إلى خراسان، حتى تكون له مملكة تكفيه معاش جنوده ومؤنه بالإضافة إلى الري* وقزوين** التي كانتا تحت حكمه. كما انتهز أرغون فرصة اتصال عمه بصاحب مصر ليؤلب عليه الأمراء الناقمين عليه إسلامه من جهة، والرافضين للتصالح مع سلطنة المماليك لما في ذلك من قضاء على مصالحهم وطموحاتهم من جهة أخرى [١١٧].

ولما لم تلق طلباته هذه أي استجابة من عمه، أعلن عليه الثورة وخرج من خراسان لقتاله، فجرد إليه عمه جيشا بقيادة زوج ابنته وقائد جيوشه العام (الناق أو أليناق) واستطاع أرغون أن يلحق بهذا الجيش هزيمة ساحقة ويقتل بعض أفراده. وبلغ الخبر إلى تكودار فركب في أربعين ألفا وسار لقصد أرغون ابن أخيه والتقيا بالقرب من خراسان، فكانت الكسرة على أرغون, فأخذه تكودار أسيرا. وعاد طالبا تبريز فحضرت زوجة أرغون ووالدته, وكثير من الأميرات المغوليات اللاتي لهن حق الدخول على السلطان، وسألن العفوعن أرغون وإطلاق سبيله، والاقتصار به على خراسان كما كان فما أجابهم إلى ذلك، وكان

قد أمسك من أكابر أمراء المغول اثني عشر أميرا وقيدهم وأهانهم فتغيرت خواطر الأمراء عليه وعزموا على قتله (١١٨).

وفي الحقيقة كان تحول السلطان تكودار إلى الإسلام باعثا لعدد من عظماء المغول وأشرافهم على الهرب إلى حيث يقيم الأمير أرغون، الذي كان من جهته يؤكد تمسكه بالديانة البوذية حتى يستفيد سياسيا، ويضم إلى صفه أكبر عدد ممكن من المغول. كذلك لم تقف جهود السلطان تكودار عند حد إعتناقه الإسلام، بل حاول جاهدا نشر هذا الدين بين طوائف المغول، وتحويل معابد الأصنام إلى مساجد، وكان يحترم القضاة، ويجل العلماء المسلمين، فكان هذا السلوك من جانب الإيلخان سببا آخر في نقمة المغول عليه، ومدعاة إلى إثارتهم وانزعاجهم، فشكوه إلى الخان الأعظم قوبيلاي (ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م) الذي كان يعده الإيلخانيون – منذ عهد أبيهم هولاكو – رئيسهم وكبيرهم (١١٩).

والأخطر من هذا كله أن أخا السلطان تكودار المدعو قونقرتاي "قونغرتاي" كان متعاونا مع أرغون، وأن جماعة من أتباع السلطان تكودار اتفقوا مع قونقرتاي على اعتقال الإيلخان والقضاء عليه. وأغلب الظن أن قونقرتاي كان يريد استغلال الوضع الصعب الذي فيه تكودار كي يحقق أغراضه، ويستولي على الحكم لنفسه, ولكنه لم يوفق في هذا السبيل لعلم تكودار بمؤامرته في الوقت المناسب, فقبض عليه وعلى أتباعه ودق أعناقهم على الفور، وعادة ما كان يتم ذلك بكسر العمود الفقري، ذلك لأن إلياسا الجنكيزية تحرم إراقة دماء الأمراء الذين تجري في عروقهم الدماء المغولية (١٢٠). وتتصل المؤامرة إلى أبعد مدى لها من قبل بعض رجال تكودار ، ويتم فك أسر أرغون ، كما يتم التخلص من قائد جيوش تكودار(أليناق) بالقتل، والقبض على تكودار, وحمله إلى أولاد أخيه قونقرتاي للأخذ بثأر أبيهم فقبضوا عليه بالأسلوب نفسه المتبع في معاملة

الأمراء المغول في ليلة الخميس ٢٦ من جمادى لأولى سنة ٦٨٣هـ/١٠ أغسطس١٢٨٤م [١٢١].

حكم أرغون خان(٦٨٣-٦٩٠هـ/١٢٨٤-١٢٩١م)

أرغون خان بن آباقا خان بن هولاكو هو رابع حكام مغول إيران استولى على الحكم في أعقاب الإطاحة بعمه وجلس على العرش في يوم الجمعة ٢٧من جمادى الأولى٦٨٣هـ ١١أغسطس ١٢٨٤م أي بعد مقتل عمه بليلة واحدة بناء على إجماع كبار الامراء المغول في مجلس القوريلتاي [١٢٢]. وهوالابن الاكبرلاباقاخان. ويعد أرغون خان اول من ضرب بإلياسا الجنكيزية عرض الحائط. ذلك أنه عقب مقتل تكودار كان الأحق بالعرش "هولاجو" بن هولاكو خان، ويعتبر تولي أرغون بداية التحول عن (إلياسا) إلى أن يأتي بعده ابنه غازان خان بن أرغون فيعتنق الإسلام ويتم التحول النهائي لدولة المغول في إيران سياسيا ودينيا وبشكل واضح؛ سياسيا لأنها استقلت نهائيا عن سيطرة الخاقان الأعظم في بيكين في الصين، ودينيا لأن الدين الإسلامي أصبح هو الدين الرسمي للدولة ومصدر التشريع فيها منذ عهد غازان خان (٦٩٤-٧٠٣هـ/١٢٩٤-١٣٠٣م) بل إن عهد غازان شهد أكبر تحول سياسي في إيلخانية مغول إيران، وتحولها من دولة مغولية تابعة للصين إلى دولة إسلامية تحاول أن تكون زعيمة العالم الإسلامي، وتنافس دولة سلاطين المماليك التي كانت هي زعيمة العالم الإسلامي والتخلي عن محاولة تكوين تحالفات مع الغرب الأوروبي [١٢٣]. وفي هذا يقول المستشرق الفرنسي جروسيه Grousset: "الواقع أن حكم غازان يحدد اللحظة التي تحول فيها هؤلاء البدو (يقصد مغول فارس) البدائيون شيئا إلى الحياة المستقرة في إيران إلا أن هذا الاستقرار لسوء الحظ لم يتم دون أن يكون له مضار، فإنهم عندما خرجوا عن تسامحهم العام إلى

اعتناق دين خاص هو الإسلام.. فإنهم لم يلبثوا أن فقدوا جنسيتهم، وأن فقدوا معها مميزاتهم، وأن تركوا أنفسهم للوسط الذي هضمهم وشربهم وأخفاهم.." (١٢٤).

سياسته الداخلية

على الصعيد الداخلي, استهل أرغون خان حكمه بمكافأة من كانوا السبب في وصوله إلى العرش، فسلم زمام الأمور إلى الأمير (بوقا) الذي بفضله حقق آماله، وجعله نائبا عنه في تصريف شؤون البلاد كلها. وزيادة في تكريمه فقد منحه لقب (جنكَسانك) أي أمير الأمراء ، أو نائب السلطان، ومنحه صلاحيات لا حدود لها بحيث لم يبق لأرغون نفسه سوى سلطة شكلية. إلى جانب أنه قام بتعيين أخى (بوقا) وهو الأمير (أروق) حاكما على بغداد، كما كرم الأمير هولاجو بن هولاكو أي عمه، وتمكن من إرضاء سائر الأمراء بما أغدقه عليهم من إقطاعات وهدايا وعطايا (١٢٥). وجعل خواجة فخر الدين المستوفي القزوينى مسئولا عن الشؤون الإدارية والمالية ومساعدا للأمير بوقا، بينما تم تعيين خواجة هارون بن شمس الدين محمد مساعدا للأمير آروق في بغداد (١٢٦). كذلك كلف الأميرين جوشكاب* بن هولاكو (ت ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م) والأمير بايدو (ت ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م) على ديار بكر، ومنح ابنه الأمير (كيخاتو) بن أرغون (٦٩٠-٦٩٤هـ/ ١٢٩١-١٢٩٤م) بلاد الروم, ومنح بلاد الكرجستان** لعمه (أجاي)، وولى ابنه غازان على ممالك خراسان، وأرسل بصحبته الأمير (كينشو) لمساعدته. وكلف الأمير نوروز (ت ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م) التابع لابنه غازان بإدارة خراسان (١٢٧). ولتطييب خواطر المسلمين من أتباع أحمد تكودار, فقد أصدر أرغون مرسوما بالعفو العام عن جميع المعارضين, وقد جاء في المرسوم "بألا يشق أي مخلوق أتباع أحمد ولا يتعرض لأحد منهم ، وأعلنوا أن على الجميع أن يحافظوا على مسلك آبائهم وأجدادهم،

وألا يضطهد الواحد منهم الآخر، وأن يشتغل الرعايا بالعمارة والزراعة فارغي البال [١٢٨].

وأحسن أرغون إلى والدة عمه أحمد تكودار وهى قوتوي أو قوتي خاتون، وأبقى عليها بلادها التي كانت إقطاعا لها في عهد ابنها وهى طوبان وميا فارقين[١٢٩]. هذا التصرف إن دل على شيء فإنما يدل على إدراك أرغون أن لكل صنف من الرعية صنف من السياسة، فالأفاضل يساسون بمكارم الأخلاق والإرشاد اللطيف، وأن من الخصال التي تُستحب في الملك الكرم، وهو الأصل في استمالة القلوب [١٣٠].

وينبغى أن نشير إلى أن أرغون ما إن تولى الحكم المغولي في إيران، وجلس على العرش الإيلخاني، حتى بدأ بمكافأة من كانوا السبب في وصوله إلى العرش، كما حاول إلغاء ما سبق واتخذه عمه أحمد تكودار من إجراءات، والعودة بالدولة إلى سابق عهدها مغولية جنكيزية تحكمها (إلياسا) والعرف المغولي، وربما حاول الاتصال بأمراء المغول الذين أسلموا لكي يثنيهم عن دينهم الجديد، كما اتصل بأمراء المغول الذين لم يسلموا بعد ليقفوا في صفه[١٣١]. ذلك لأن أرغون كان يحرص على منع خانية فارس من الدخول في الإسلام. وكان أرغون بوذيا مثلما كان أبوه آباقا وجده هولاكو، وسلك طريقهما في الانحياز إلى المسيحيين واليهود. وهذا نجاح للوثنية والكفر على الإسلام, حيث خص أصحاب هذه الديانات بالوظائف الأساسية في الإدارة المدنية، ولا سيما ما يتعلق منها بالادارة المالية. ومن الطبيعي أن يلقى المسيحيون من أرغون العطف والمحبة، إرضاء لزوجته أوروق خاتون وكانت مسيحية نسطورية، وقد نصرت ابنا لهما في سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م، باسم نيقولا تيمنا باسم البابا نيقولا الرابع Nicholas IV، (٦٨٧-٦٩٢هـ/ ١٢٨٨-١٢٩٢م) وأضحى نيقولا فيما

بعد الخان، أولجايتو (٧٠٣-٧١٦هـ/ ١٣٠٤-١٣١٦م). وإمعاناً في نصرة الوثنية على الإسلام, فقد أعاد أرغون عمارة الكنائس التي دمرها تكودار ومنها كنيسة مراغة [١٣٢]. وهنا تجدر الإشارة إلى أن تأكيد أرغون الدائم على بوذيته، من جهة، وتقريبه وعطفه على المسيحيين من جهة أخرى، كان لهدف سياسي بالدرجة الأولى، فقد سبق أن أشرنا إلى أن حكام المغول الوثنيين بوجه عام لم يكن يعنيهم الدين في شيء، وبالنسبة لأرغون خان بوجه خاص، فقد كان دافعه إيجاد جبهة يستند عليها في مواجهة الخطر الإسلامي ممثلا في غالبية سكان إيران والعراق من جهة، والخطر المملوكي القريب من دولته من جهة أخرى، ذلك الخطر الذي كان يتربص بالمغول الدوائر. وخير من عبر عن هذه الحقيقة هو المستشرق الألماني شبولر عندما قال: "وكانت الأوضاع السياسية في البلاد التابعة للإيلخانيين غير مستقرة، وكان على الحاكم الجديد السعي والاجتهاد للسيطرة على الأوضاع" وفي موضع آخر وهو يتحدث عن أرغون قال: "فكان يسعى للتأكيد على إيمانه واعتناقه البوذية لتحقيق المكاسب السياسية" [١٣٣]. أو بعبارة أخرى أنه كان يأمل حسم الصراع الديني لصالح الوثنية التي يمثلها هو والمغول، بإنضمام طائفة المسيحيين من النساطرة والسريان، لمواجهة المد الإسلامي, الذي أخذ ينشط بعد ما تحقق للمسلمين من انتصارات عسكرية سابقة, سواءً على المغول أو على الصليبيين في بلاد الشام, ولم يقف هذا المستشرق عند حد ما ذكره سابقًا بل عبر عن موقفه من الإسلام عندما قال: "وكان تنصيب أرغون على عرش الخانية بمثابة انتصار جديد للبوذية, وبداية عصر جديد لمناهضة الإسلام. وسيطر الكهنة البوذيون على أرغون بشدة. وكان في أخريات أيامه لا يسمح لأحد بزيارته, ولقائه سوى الكهنة البوذيين" وعن تقريب أرغون لرجال الدين الوثنيين فذلك راجع إلى أن رجال الدين عند المغول كانوا كالكهنة عند قدماء المصريين، من طبقة متنورة تعلم الفلك، وتحدد وقوع الخسوف

والكسوف في أوقاتها، وتعين الأوقات الصالحة وغير الصالحة لعمل ما، وإن كان نفوذ أفرادها لا يصل إلى نفوذ الكهنة عند قدماء المصريين، وكان حكام المغول يأخذون رأيهم قبل أن يقدموا على الأعمال المهمة, وكانوا لا يجمعون جيشا ولا يدخلون حربا إلا بعد موافقتهم [١٣٤]. ولا ينبغى علينا الوثوق في كلام هذا الرجل. حقا لقد كان أرغون بوذيا، إلا أنه لم يتمكن من إلغاء جميع فرمانات سلفه أحمد تكودار، فسمح للمسلمين في شهر رمضان بإقامة شعائرهم في أربعة مساجد في تبريز العاصمة. ولولا قوة هؤلاء المسلمين لمنعهم فعلا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن عبارة "انتصار جديد" توحي بأن هناك نصرا بوذيا، فأين هو هذا النصر الذي حققته البوذية على الإسلام ؟ وفي إيلخانية مغول إيران بوجه خاص، لم يرد فى المصادر المعاصرة أن أرغون أجبر المسلمين على ترك دينهم والتحول إلى البوذية، ولو كان في مقدوره لفعل. ثم أين هذا النصر إذ لم تكد تمر أربع سنوات على وفاته إلا واعتنق ابنه الوحيد غازان خان الإسلام, وأصبح الإسلام هو الدين الرسمي لدولة مغول إيران، ومصدر التشريع فيها[١٣٥]. لأنه رأى أن تحول الأسرة الحاكمة المغولية إلى الإسلام حتم وضروري للحكم في أرض إسلامية [١٣٦]. ومع أن سيطرة المغول كانت شديدة الوطأة على المسلمين، إلا أن سيادتهم لم تتخذ طابع مناهضة الدين الإسلامي, على الرغم من أنهم ليسوا مسلمين [١٣٧].

كما أن الواجب يحتم علينا أن نشير إلى أن بعض المراجع قد رددت بعض المعلومات عن محاولات أرغون خان لتحويل المسلمين إلى عبادة الفرد، عندما أقنعه وزيره اليهودي سعد الدولة (ت ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م) بنبوة جنكيز خان وبوراثة أرغون لهذه النبوة، وبوجوب الطاعة لأوامره وعبادة الناس له وتوجيههم نحو الإخلاص للإيلخانية [١٣٨]. ولكن من المؤكد أن (أرغون خان) لم يكن يعنيه الدين في شيء سوى تحقيق طموحاته السياسية. ونسوق على ذلك

دليلا آخر, وهو خطاب لأرغون مؤرخ في ١٤ مايو ١٢٩٠م/٦٨٩هـ إلى البابا نيقولا الرابع Nicholas IV يقول فيه إنه ليس في حاجة إلى اعتناق المسيحية, وإن رعاياه لهم الحق في اختيار الدين الذي يلائمهم (١٣٩).

ومن أعماله الداخلية كذلك، أنه كان السبب في الأزمة المالية الخانقة التي واجهت أخاه (كيخاتو) في بداية حكمه, والذي عمد إلى اتباع ما صنعه الصينيون قبله, وهو وضع عملة ورقية. فقد أمر بطبع عملة مالية ورقية من عدة فئات, مكتوبة باللغات الصينية والفارسية والمغولية، ووضعها في التداول المحلي بشكل قانوني إجباري، ولكن الشعب في إيران رفض استعمال هذه العملة الورقية غير المألوفة، وهكذا أخليت الأسواق، واختفت المؤن من المدن، وأصبح الريف مبتلى بغارات اللصوص وقطاع الطرق بأعداد كبيرة، وقد توقفت الحياة العادية تماما مما سبب إلغاء هذه التدابير بعد ستة أشهر (١٤٠).

وعلى المستوى الداخلي كذلك، أصدر أرغون خان عدة فرمانات لإشاعة الاستقرار. وفي ذلك الوقت أراد شمس الدين الجوينى الوزير السابق في عهد تكودار والذي كان قد هرب إلى جاجرم* قبيل اغتيال أحمد تكودار ومنها إلى أصفهان – أراد أن يذهب إلى الهند عن طريق مضيق هرمز، ولكنه عندما سمع بقرار العفو ذهب إلى أرغون وطلب العفو منه. والتحق الجويني في العاشر من رجب سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م بمعسكر أرغون. وعُيّن من طرف الخان وبدعم من بوقا نائبا له ، ولكن الود لم يستمر بين الجويني وبوقا كثيرًا، وبعد مؤامرة دبرت له تمت محاكمته بجريمة الاختلاس؛ وقتل في الرابع من شعبان من العام نفسه بأمر من أرغون، ثم تم قتل أولاده، وحدث خلل في الشؤون الإدارية والمالية بعد مقتل الجويني (١٤١).

أما الأمير بوقا فقد ارتفع شأنه, واستمرت وزارته ثلاث سنوات. ووفقا لفرمانات أرغون, فقد تم إعفاؤه من الاستجواب والمحاكمة، وصار طليقا في الأمور كافة بحيث لا تتم مساءلته إلا من قبل أرغون نفسه، كما أن الأحكام لا تعد رسمية إلا بعد وضع ختمه الأحمر اللون عليها. وصار على الجميع إطاعة أوامره, حتى وإن لم يصدق عليها ألخان (١٤٢). وقد عظم أمره وارتفعت منزلته حتى أن أبناء الملوك والملكات والأميرات والقواد كانوا يختلفون إليه, ويقفون على باب داره يطلبون أرزاقهم ومعايشهم. وأقام بوقا أخاه آروق حاكما مطلقا في بغداد وأذربيجان, كما أخذ يصرح لبعض الأمراء بأنه كان السبب في عزل أحمد تكودار وتولية أرغون، وأن أرغون لم يكافئه مكافأة حسنة، وشكاه الحاقدون وألصقوا به كثيرا من التهم، فتم القبض عليه بأمر من أرغون وقتله، ثم توجه جيش إلى الموصل للقبض على أخيه آروق، وجرى قتله أيضا ولم يكن قد مر أسبوع على مقتل بوقا وكان ذلك فى أواخر عام ٦٨٧هـ/ ١٢٨٩م (١٤٣). والواقع أن أرغون خان كان محبا للمال كبقية إيلخانات مغول إيران، فجعل الطبيب اليهودي سعد الدولة وزيرا للمالية وكبيرا لمستشاريه، وقد ظل سعد الدولة منذ عام ٦٨٦هـ/١٢٨٨م حتى الأيام الأخيرة لحكم أرغون (٦٩٠هـ/١٢٩١م) موضع ثقته. وقد اشتهر سعد الدولة بالذكاء والمكر، والمرونة، وطلاقة الحديث باللغتين التركية والمغولية، ودرايته بحياة البلاد، مما جعله يقف على كل ما يرضي أرغون، الذي قدر له إخلاصه في خدمة الدولة. وبفضل مهارته الإدارية أصلح الشؤون المالية، فمنع ما لجأ إليه السادة الإقطاعيون المغول من النهب وابتزاز الأموال، وحرّم على القادة العسكريين الامتناع عن تنفيذ قرارات المحاكم، وأنكر ما لجأ إليه ممثلو الطبقة الأرستقراطية من إثقال كاهل الشعب بكثرة الطلبات. وفي الجملة حاول أن يقضي على كل العيوب، وأن يحول الحكومة التي غلبت عليها الصفة العسكرية،

إلى إدارة مدنية سليمة. لكي يتجنب إثارة سخط المسلمين، أقر أن يجري النظر في قضاياهم وفقا للشريعة الإسلامية، وزاد فيما يرصد من الأوقاف على الأعمال الخيرية. ولم ينكر عليه المسلمون إلا ما خص به أهل ملته من اليهود من الوظائف الرئيسة في الإدارة المدنية، ولا سيما ما لجأ إليه من توزيع التزام جباية الأموال على أقاربه؛ وكيفما كان الأمر، فإن هذا الوزير اليهودي كرهه السادة المغول لإقدامه على منع النهب، واتهمه المسلمون بأنه أراد تحويل الكعبة إلى هيكل لعبادة الأوثان، وأنه أقنع أرغون بعبادة الفرد التي سبق وأشرنا إليها في السطور السابقة. وقد أرتقى سعد الدوله في عهد أرغون أعظم الرتب وأصبحت الشؤون السياسية في يده وحده. وأنه تعالى على الأمراء وأخذ يستحقرهم، وتقاطر إليه اليهود من جميع الأقطار، ثم مرض أرغون بمرض الفالج "الشلل" زهاء شهر، وحاول هذا اليهودى معالجته، لكنه توفي في يوم الأربعاء سلخ كانون الثاني ١٢٩١م، وبطش التتر بسعد الدولة وقبضوا على إخوته وقتلوهم. وعلى إثر مقتله ثار المسلمون على اليهود في بغداد وتسلحوا وقصدوا محلتهم المجاورة لمحلة المسلمين, واشتبكوا معهم, وقتل من الطرفين خلق كثير ، وقد استغرق حكمه زهاء سنتين, ثم قتل واضمحل ذكره (١٤٤).

سياسته الخارجية

اقتفى أرغون خان أثر والده آباقا خان في سياسته الخارجية الرامية إلى التحالف مع الغرب الأوروبي، فبعد أقل من عام من توليه عرش الإيلخانية وجه إلى أمراء الغرب الدعوة إثر الدعوة للقيام بحملة صليبية، واعدًا إياهم بتقديم جيوش ومؤن وذلك لمحاربة عدوهم الأكبر, المتمثل في سلطنة المماليك في مصر والشام والحجاز, ولم يفت على السفراء المكلفين من قبله بحمل الرسائل إلى الغرب، وهم مسيحيون في الغالب, أن يلمحوا بأن مرسلهم قد تحول تحولا

نصفيا أو بالكامل إلى العقيدة المسيحية. سواء كان ذلك مثبتا أو غير مثبت في التعليمات التي تم تزويدهم بها. والواقع أنه لم يكن هناك شيء من هذا, غير أن هذا التلميح كان له أثر طيب، وكان السفراء يطلبون من البابا إيفاد مبشرين لهداية شعب التتار إلى المسيحية (١٤٥).

وتعددت السفارات التى أرسلها أرغون خان إلى ملوك أوروبا وبابواتها ، ونظرا لأن العديد من المؤلفات قد تناولت هذه السفارات بالتفصيل ، وأجريت حولها بعض الأبحاث (١٤٦) فإننا سنكتفى هنا بالإشارة إليها. ويهمنا أن نشير إلى أن الخان المغولي أرغون كان هو صاحب المبادرة في طلب التحالف ضد المماليك, انتقاما من هزيمة والده آباقا في موقعة حمص. أما الغرب الأوروبي فقد كان أيضا في حاجة ماسة للتعاون العسكري مع المغول لأن قوات المماليك كانت تسقط عاما بعد آخر, واحدا من مواقع الفرنج الصليبيين الهامة في بلاد الشام, في الوقت الذي انشغل فيه الغرب عن الصليبيين بحروبه الإقليمية ومشاكله الداخلية والدينية. أما هذه السفارات فهى :

سفارة عام ٦٨٤هـ/١٢٨٥م

وهي أول سفارة لأرغون للغرب الأوروبي ، فور اعتلائه العرش والتخلص من عمه تكودار ومؤيديه. وهذه هى السفارة الوحيدة التي لا نعرف عنها تفصيلات سوى خطاب وحيد تم العثور عليه في أرشيفات الفاتيكان من أرغون إلى البـــــابا هونريوس الرابع HonorusIV (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) مؤرخ في ١٥ مايو ١٢٨٥م ، وقام الباحث الفرنسي شابوت Chabot بنشر الأصل اللاتيني لهذا الخطاب مع بقية الخطابات التي تم تبادلها بين أرغون والغرب الأوروبي. وفي هذا الخطاب يشير أرغون إلى رغبته في تقديم العون للأراضي المقدسة في فلسطين ، ويعرض على البابوية أن تقوم جيوشه بالإغارة على بلاد الشام، وأن

تقوم قوات الفرنجة بمهاجمة مصر في الوقت نفسه لتحطيم قوات المسلمين في الشام ومصر، وحتى يكون هناك سيدان فقط هما الخان قوبيلاى والبابا. ومن الواضح أن البابا لم يكتب ردا على رسالة أرغون لانشغال أوروبا بمشاكلها الداخلية [١٤٧].

سفارة رابان صوما Rabban - Sauna (٦٨٦هـ/١٢٨٧-١٢٨٨م)

رابان صوما Rabban Sauma (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م) هو أحد كبار رجال الكنيسة النسطورية في إيلخانية إيران, وينم اختيار أرغون له عن رغبته في كسب ثقة الأوروبيين. وعندما وصل صوما Sauma إلى روما كان البابا هونريوس الرابع Honorus IV قد توفي، وكان الكرسي البابوي ما يزال شاغرا؛ فتوجه صوم Sauma ورفاقه لمقابلة ملك فرنسا فيليب الـــرابع Philippe IV (٦٨٤-٧١٤هـ/ ١٢٨٥-١٣١٤م) وملك انجلتــــــرا إدوارد الأولEduuard 1 (٦٧٢-٧٠٧هـ/ ١٣٧٣-١٣٠٧م) وتسليمهما خطابات أرغون. وقد عرج صوما Sauma على مدينة جنوة في إيطاليا, حيث استقبله أميرها وأهل المدينة بحفاوة بالغة, لأن تجار جنوة كانت لهم اليد الطولى في إيلخانية ايران، ومنهم اختار أرغون بعض مستشاريه وسفرائه [١٤٨]. ويتضح من فحص رسائل أرغون التى حملها صوماSauma أن أرغون يطلب مساعدة الغرب له ضد المماليك. أما رد البابا الجديد وهو نيقولا الرابعNicholas IV (٦٨٧-٦٩٢ هـ/١٢٨٨ - ١٢٩٢م) فإن كل ما كان يهمه هو تنصير أرغون خان والشعب المغولي، وبالنسبة لملكي فرنسا وانجلترا, فإن ردودهما لم تحمل سوى طابع المجاملة والود مع الترحيب بالمشاركة في الحملة الصليبية الخامسة, وإن لم يوضحا متى ستكون تلك المشاركة [١٤٩].

سفارة بوسكاريل جيزوف Buscarel Gisolf (٦٨٨هـ/١٢٨٩م)

انتهز أرغون خان فرصة سقوط مدينة طرابلس, التي كانت تحت سيطرة الفرنج في بلاد الشام عام ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م ليرسل سفارة ثالثة إلى الغرب الأوروبي, على رأسها بوسكاريل التاجر الجنوي, والذي يجيد اللغة المغولية إلى فيليب الرابع Philippe IV ملك فرنسا، حاملا رسالة باللغة المغولية، وقد ترجمت هذه الرسالة في بداية القرن التاسع عشر للميلاد إلى اللغة الفرنسية، وكان ملحقا بها رسالة أخرى من بوسكاريل **Buscarel** أخبر فيها فيليب الرابع بأن أرغون مستعد لإرسال ما بين عشرين وثلاثين ألفا من الخيول أو ما يعادل قيمتها كهدية إلى فيليب Bhilippe. وأنه سوف يتحرك إلى دمشق ويقومان سويا بالقضاء على المماليك وتسليمه القدس (١٥٠).

سفارة أندرو زاجان Andrew Zagan وساهادين Sahadin (٦٨٩هـ/١٢٩٠م)

أرسل الخان المغولي أرغون سفارة جديدة إلى الغرب الأوروبي، وترأسها اثنان من المسيحيين المغول أندرو زاجان Zagan Sahadin وساهادين Sahadin وقد وصلا إلى روما في آخر عام ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م، والتقيا بالبابا نيقولا الرابع Nicholas IV ، وفيها يعلن أرغون أنه سيحرك قواته في يناير ١٢٩١ حتى يتمكن من الوصول إلى دمشق في ٢٠ فبراير ١٢٩١م، وذلك بشرط وجود القوات الأوروبية في مصر والشام في ذلك الوقت لمباغتة العدو المشترك من الخلف، حتى لا تحدث كارثة للجيوش المغولية. إلا أن المماليك بقيادة الأشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩-٦٩٣هـ/ ١٢٩٠-١٢٩٣م) سرعان ما استولوا على عكا ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م وتم طرد البقايا الفرنجية (الصليبية) من بلاد الشام, والقضاء على آخر الحكومات المسيحية فى بلاد الشام ، كما أن أرغون نفسه لم يعش بعدها إذ توفي في أول مارس من ذلك العام. وهكذا فشلت سياسة أرغون

خان الخارجية في قيام تحالف مع الغرب الأوروبي للقيام بهجوم مشترك ضد سلطنة المماليك، وما كان سيترتب على ذلك الهجوم المشترك من أن يقتسم الجانبان أملاك المماليك بالشام، فيستأثر المغول بحلب ودمشق، ويكون بيت المقدس من نصيب الصليبيين [١٥١]. وكان لتلك السياسة أسوأ الأثر في مصر، فعادت العلاقات بين دولتي المماليك والمغول في إيران إلى سيرتها الأولى. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أخذ المماليك يتطلعون في عهد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون إلى إجلاء المغول عن العراق، وضمه إلى مصر. كما ظل التشاور بين المغول وأوروبا حتى عهد غازان خان (٦٩٤هـ/٧٠٣هـ/١٢٩٥-١٣٠٤م) ولكن هذا التشاور لم يتعد الخطابات والبعثات [١٥٢].

ويشير أحد الباحثين إلى أن أرغون خان لم يكتف بمحاولة التحالف مع الغرب الأوربى لضرب سلطنة المماليك، بل إنه حاول فعلا ضرب مواردها الاقتصادية, عن طريق محاولة حرمانها من أهم مصدر من مصادر دخلها، وهو تجارة الشرق الأقصى، واستعان ببعض الجنويين فى تنفيذ هذا المشروع، عن طريق إغلاق طريق باب المندب في وجه التجارة القادمة إلى سلطنة المماليك في مصر والشام والحجاز. وبفضل مساعدة أرغون خان فإن هؤلاء الجنوية قاموا بإعداد سفينتين في بغداد، وكانوا يودون تسيير هذه السفن في نهر دجلة, ومنه تسير إلى المحيط الهندى عبر الخليج. ولكن هذا المشروع لم يستكمل بسبب الخلافات التى قامت بين هؤلاء الجنويين [١٥٣].

وفيما يتعلق بعلاقات أرغون الخارجية مع جيرانه الآخرين فقد كانت هادئة بصفة عامة، باستثناء بعض الحالات, ومنها أنه فى صفر سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م أمر بإرسال الجيوش إلى منطقة جبال هكاري في كردستان، إذ أن الأكراد هناك كانوا قد استغلوا حالة الفوضى التى سادت البلاد أثناء تمرده على عمه تكودار

فقطعوا طرق المواصلات، ونهبوا القوافل التجارية، فلما سارت هذه القوات، التحموا بالمتمردين وأقروا الأمن والنظام. وفى ١٥ من المحرم سنة ٦٨٧هـ/١٢٨٨م قدم الرسل من خراسان وأخبروا أرغون أن ثلاثين ألفا من الفرسان من جند "قيدو" فيما وراء النهر قد عبروا البنجاب ، ونهبوا جهات بلخ* ومرو** ونواحي شبورغان***، وبلغوا خواف**** وسنكَان*****، فاستعد الإيلخان بجنوده للقائهم، وتمكن من صدهم ، كما استطاعوا أن يدفعوا الحملات المتعددة التى قام بها "قايدو"****** بعد ذلك على خراسان. وكانت قيادة جنود أرغون في هذه الحروب تسند غالبا إلى الأمير طغاجار [١٥٤].

كذلك تعرضت حدود بلاده الشمالية لغزوة من قبل مغول القبيلة الذهبية بقيادة منكو تيمور بن بايدو، فسير إليـــه أرغون جيشا هزم قواته. وبذلك تم النصر لجنود الإيلخان [١٥٥].

ثقافته

أما عن ثقافة أرغون خان فقد كانت غزيرة ومتشعبة امتدت إلى كثير من أنواع المعارف الإنسانية، وذلك بسبب ما كان يتمتع به من ذكاء نادر وقريحة وقادة، وفي رأينا أنه كان للجو العام الذي نشأ فيه أثر كبير في ذلك؛ فقد ورث عن أبيه أباقاخان وجده هولاكو خان حبهما الشديد للعلم والعلماء [١٥٦]. كما كان للبيئة التي قضى فيها أرغون معظم حياته قبل أن يلي العرش, وهى إقليم خراسان أثرها الكبير في توسيع مداركه العقلية ونمو ثقافته، وحبه للعلم وإقباله عليه. هذه البيئة قال عنها القزويني – وهو معاصر لتلك الحقبة: "وهي من أحسن أرض الله, وأعمرها وأكثرها خيرا، وأهلها أحسن الناس صورة, وأكملهم عقلا وأقومهم طبعا، وأكثرهم رغبة في الدين والعلم" [١٥٧]. وبالطبع فإن هذا يفسر لنا السر في حرص هولاكو خان على جعلها إقليما خاصا بابنه آباقاخان،

ويحرص آباقاخان على جعلها إقطاعا لابنه أرغون خان ، وكذلك يحرص أرغون على جعلها إقطاعا لابنه غازان خان من بعده (١٥٨). وعلى هذا الأساس أيضا كان أرغون خان ملكا عاقلا له طبع لطيف وخاطر وقاد، وكل من يتحدث معه في مقدمة عقلية أو مسألة نقلية كان يعجب به (١٥٩). ولأنه في الدولة المغولية في إيران لم تلق بعض العلوم ما تستحق من عناية، مثل علوم اللسان كالنحو واللغة والشعر والتاريخ، ولقيت علوم أخرى حظا وافرا، مثل علم الحساب لضبط المملكة وحصر الدخل والخرج، والطب لحفظ الأبدان والأمزجة، والنجوم والفلك لاختيار الأوقات (١٦٠). وغيرها من العلوم الأخرى، لذا فقد كان أرغون خان عظيم الشغف بصنعة الكيمياء والإكسير، فكان المشتغلون بالكيمياء يقصدون حضرته من الأطراف والنواحي، وكانوا يرغبون السلطان في تلك الصنعة. وفي سبيل ذلك كان يصرف الأموال الطائلة، ولا يحاسبهم مطلقا، بل كان يأمر لهم – مرحبا – بنفقات أخرى. "وذات يوم كان العلماء يبحثون مسألة من المسائل الغامضة بحضور العالم الكبير قطب الدين الشيرازي (ت ٧٠١هـ/ ١٣٠١م)، ثم تفرقوا، فقال أرغون لهذا العالم: "لأنني رجل تركي وأنت رجل عالم ، قد تظن أن هؤلاء يسخرونني ويستغلونني، والحقيقة أني أردت مرارا أن أصرفهم. ولكن ما دام المؤكد أن لهذا العلم الشريف وجودا، وقد يكون هناك من يعرفه، ولأني إذا لم أرع الجهلاء ولا أجهز عليهم بالسيف، فلن يثق بي عالم مطلقا". "وقصارى القول أنه قد صرفت أموال لا حصر لها في التعقيد والتصعيد والتحليل والتركيب والتحقيق، والتقطير والتشميع والتعفين, والتصفية والتحلية والتطرية، ولكن بعد التجارب العديدة والاختبارات الكثيرة زال عن الأبصار نقاب الشبهة وحجاب الريبة، ولم ينتج عن الأكسير سوى الإنكسار وخسارة المحصول (١٦١).

بالإضافة إلى هذا كان أرغون يحب أن يزيد معارفة عن العالم الخارجي، فإذا قدم إلى عاصمته مبعوثون من الخارج, كان يرسل إليهم مباشرة، ويستقبلهم هو بنفسه. وكان يتحدث معهم في شتى الموضوعات التى تتعلق بتاريخ بلادهم ونظم الحكم السائدة فيها (١٦٢).

كما كان أرغون خان محبا للعلماء، يرحب بهم. وفي عهده استقبل أحد كبار علماء عصره وهو (بولاد حينكسانك) الذي كان ملحقا بخدمة الخان الأعظم قوبيلاي ، ثم أرسل من قبل هذا العاهل إلى إيران حيث أقام زمنا طويلا. وكان أميرا ذا صفات عالية. وقد وصل إلى بلاط مغول إيران في بداية حكم أرغون خان. ونراه في سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٣م يبلغ غازان خان حديثا طويلا متزنا عن ماهية السلوك، وقد مات في سنة ٧٠٢هـ في مدينة آران (١٦٣). كذلك يتضح مما يرويه أحد المؤرخين المعاصرين له, أنه حذا حذو أبيه آباقاخان في كسب ود كثير من العلماء في مختلف المجالات. فقد كان رشيدالدين الهمذاني (ت٧١٨هـ/١٣١٨م) المؤرخ الشهير يحترف الطب، ولعل مهارته في هذا العلم, هي التي مهدت له السبيل إلى قصر سلاطين إيران المغول، وأكسبته ودهم. ونحن نعلم منه أنه قضى جزءا من حياته في خدمة آباقاخان وخلفائه، وأنهم كانوا جميعًا يعاملونه بإجلال ملحوظ. ولكن يبدو أنه لم يشغل وظائف هامة قبل عهد غازان لأنه يقول: "وذلك لأني ألحقت بقصر السلاطين منذ شبابي الغض, وشغلت بدقائق الإدارة" (١٦٤). ولم يكن اهتمام أرغون بالطب قاصرا على رعاية الأطباء وأبحاثهم الطبية فحسب، بل تعدى ذلك إلى الأدوية ذاتها، فكلما سمع عن دواء جديد حرص على جلبه من البلاد الأجنبية وتوفيره في إيران كما أدى تعلقه بالحياة إلى الوقوع فى يد بعض الكهنة المغول الذين أوهموه بقدرتهم على إطالة عمره ، فاستسلم لهم، وتناول دواء ركبوه له من عدة مساحيق ودهون، فكانت هذه التركيبة هي التي عجلت بنهايته (١٦٥).

ومن ناحية معرفته باللغات, فمن المرجح أنه كان كغيره من حكام مغول إيران وعلى وجه خاص ابنه غازان، يعرف المغولية وهى لغته الأم، وإلى جانبها عرف عدة لغات أخرى ليس فقط لغات الأقوام الذين كان يسيطر عليهم من فارسية وعربية وتركية، بل وربما كذلك اللغة الهندية ولغة كشمير والتبت والصين ، وفي مجال التاريخ ربما كان على علم بتاريخ المغول، ونسب أجداده ونسب رؤساء المغول وقوادهم؛ وأما في مجال الحرف والمهن, فربما كان على علم بالصباغة والحدادة والنجارة والنقش. فقد كان يدرك تمام الإدراك أنه واجب عليه أن يعرف من كل شيء طرفا ، ليصل إلى درجة من الكمال [١٦٦]. وهكذا يمكن القول، بعد التعرف على ثقافة أرغون خان التي اقتبس كثيرًا منها من وزرائه وحاشيته وزوجته، إنه كان لثقافته الأثر الكبير في التمسك بالوثنية والإنتصار لها على حساب ثقافة أحمد تكودار التي كانت متأثرة بالمجتمع الإسلامي بصفة عامة. وعلى هذا يمكن القول بأن ثقافة أرغون أدت إلى انتصار الوثنية على الإسلام في فترة زمنية قصيرة.

الآثار التي خلفها

كان من أهم الآثار المعمارية التي خلفها أرغون خان في إيران القصران اللذان شيدهما في الجانب الغربي من عاصمته تبريز، في ضاحية "شنب" والتي يسميها العوام من أهل تبريز "شام"، ولكي يعبر عن شغفه بالعمارة والبناء فقد شيد بين القصرين المدينة التي نسبت إليه فعرفت باسم "الأرغونية"، بما امتازت به من عمارات جميلة ذات نقوش جذابة، وسقوف مقرنصة، وشرفات مقوسة، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على أنه من كبار محبي العمارة [١٦٧].

كان أرغون بوذيًا، ويعتقد اعتقادًا راسخًا في كهنة المغول، ولكي يظهر رعايته وعنايته بهذه الطائفة ويدعم وجودها، فقد بنى لها معبدًا، وتم نقش

صورته على جدران ذلك المعبد، وأوقف عليه عدة أوقاف، إلا أن هذا المعبد تم تدميره في عهد ابنه غازان الذي اعتنق الإسلام، ولأن وجود مثل ذلك المعبد لا يجوز شرعًا في بلد إسلامي (١٦٨).

وفي عهده كانت تبريز العاصمة كأنها مصر بسبب كثرة السكان، وصارت الأرغونية مقر الملك مثل القاهرة. كذلك أقام مدينة في مراعي "قنقور أولانكك" في ناحية "شروياز" وأجرى العيون والقنوات، وأنفق عليها أموالا طائلة ولكن هذه المدينة لم تتم في عهده بسبب قصر عمره، فأتمها السلطان أولجايتو (٧٠٣-٧١٦هـ/١٣٠٤- ١٣١٦م) في أيام دولته، وسماها السلطانية*. وفي مصيف "لار" في سفح جبل "دماوند"** شيد أيضا جوسقا عاليا يعرف الآن بجوسق أرغون ، كما أنه أقام في كثير من المواضع القصور المنيفة والساحات المنيعة (١٦٩).

وفاة أرغون

من المعروف أن أرغون خان كان يتقرب إلى الكهنة البوذيين، وقبيل وفاته بثمانية أشهر, قام بتناول مخلوط من الكبريت والزئبق لمدة ثمانية أشهر بناء على استشارة كاهن بوذي، وذهب في نهاية الشهر الثامن للتحنث بقلعة تبريز، ولم يكن يسمح سوى لوزيره سعد الدولة واثنين من كبار أمرائه هما (أردوقيا وقوجان) بالدخول عليه. ولما خرج من خلوته ذهب إلى (آران)، وهناك مرض وتدهورت صحته بعد تناوله ذلك الشراب. ولكنهم ظنوا أن إحدى سيدات الحريم وتدعى(طوعجاق خاتون) قد عقدت له سحرا، فعذبت وألقي بها في النهر مع جملة من السيدات الأخريات. في حين أشاع البعض أن السم قد دس له (١٧٠). وأخيرا وبعد صراع مع المرض لقي أرغون حتفه يوم السبت ٧ من ربيع الأول سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م ، وفي يوم الإثنين ٩ من ربيع الأول حمل جثمانه إلى

ناحية "سجاس"***.[١٧١] وأجريت له مراسم الدفن حسب الطريقة المغولية. وجدير بالذكر أن الإيلخان الرابع وهو أرغون كان آخر حاكم مغولي من سلالة الإيلخانيين تجرى له مراسم الدفن المغولية المعتادة، وقد دفن في جبل "سجاس" الذي يبعد حوالى عشرين ميلا إلى الجنوب من مدينة السلطانية، والتي كان قد شرع في بنائها ولم يتمها، فأكملها من بعده ابنه أولجايتو (٧٠٣-٧١٦هـ/١٣٠٣-١٣١٦م) وجعلها حاضرة لملكه، حيث تذكر بعض المصادر والمراجع بأن أرغون خان قد جرت له مراسم الدفن حسب الطريقة والعادات المغولية، أي أنه تم صنع تابوت، ووضعت الجثة في داخله، ثم دفن ومعه كميات هائلة من الجواهر من ذهب وفضة وغيرهما، كما دفن معه عدد من البنات ذوات الحسن والجمال في غاية التزين، لابسات ثياب فاخرة مرصعة باللآلى، وذلك لئلا تصيبه الوحشة، ويأخذه الضيق فيبقى حسب زعم "لوسترانج" المؤرخ والجغرافي مصانا من عذاب النار [١٧٢]. وراعوا في عملية الدفن السرية التامة ، فبعد أن تم دفنه على قمة ذلك الجبل، جعلوا الجبل جميعه منطقة مقدسة, فلا أحد يجرؤ أن ينتهك لها حرمة، كما أنهم أخفوا جميع المعالم التي يمكن أن يستدل منها على القبر في تلك المنطقة، حيث أن المرء يمر بها دون أن يعرف أن بها قبرا [١٧٣]. ومع هذا فقد قامت ابنته الكبرى "أو لجتاي خاتون" أو "أولجاي خاتون" بإماطة اللثام عن مكان مقبرة والدها، وكانت قد اعتنقت الإسلام، فأقامت عند قبره رباطا يقيم فيه الصوفية ويتعبدون، كما قامت بإنشاء مستوطنة هناك، لتعمير المنطقة المحيطة بقبر والدها [١٧٤].

الخاتمـــة

إذا كنا بصدد تقديم رؤية جديدة عن الصراع بين الإسلام والوثنية المتحالفة مع المسيحية أحياناً في إيلخانية مغول إيران، على عهدي أحمد تكودار خان

وأرغون خان ، فإنه يجب علينا بادي ذي بدء أن نلقي بعض الأضواء الكاشفة على ما توصلنا إليه في بحثنا من نقاط نراها جديدة على نحو أو آخر, وهذا يقودنا إلى ضرورة التعريف على الأقل بأهميتها، والتي استوحيناها من دراسة ومقارنة ما جاء بالمصادر والمراجع التي تحدثت عن الفترة من سنة (٦٨١-٦٩٠هـ/ ١٢٨٢-١٢٩١م)، وهي حوالي عشر سنوات وكانت ملامح الصراع فيها واضحة تمامًا بين الجبهة الإسلامية ممثلة في تكودار خان، والجبهة الوثنية المتحالفة مع المسيحية ممثلة في أرغون خان.

وقدر أظهر البحث عدم صحة ما تردد من رأي قائل بأن مقتل أحمد تكودار عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م على يد ابن أخيه ومنافسه على العرش المغولي في إيران وهو أرغون خان قد كان بمثابة الانتصار الحاسم للوثنية المتحالفة مع المسيحية على الإسلام ، والقضاء على شوكة المسلمين في إيران, وانقلاب الموازين وتغيير الأوضاع في غير صالحهم لحساب الوثنية والمسيحية، وترسيخ قوانين جنكيز خان وآداب المغول. هذا الرأي الذي روج له المسيحيون النساطرة المنتشرون في تلك البلاد كنوع من المبالغة في إظهار نفوذهم، بل والترويج لتحول أرغون خان إلى المسيحية. ولقد أظهر البحث أن هذه مزاعم باطلة، وأن ما كان يمنحه هذا العاهل المغولي لرجال الدين المسيحي من عطف وزيارة كنائسهم, ومشاركته في احتفالاتهم كان يفعله مع الكهنة من عبدة الشامانية، وعبدة البوذية، بل ومع كبار رجال الدين الإسلامي، وأن سلوكه هذا لا يدل على تغيير في ديانته, بل إنه يخفي لا مبالاة شديدة بأمور الأديان, والعقائد الأخرى المخالفة لديانته الوثنية, والتي تعصب لها أشد التصعب حتى آخر رمق في حياته.

كما أظهر البحث أن فترة الصراع هذه تحتل مرحلة هامة في حياة دولة مغول إيران، ذلك بأن الخان أحمد تكودار وجه كل اهتمامه وإمكاناته وقدراته لحمل المغول على إعتناق الإسلام، فثار عليه ابن أخيه أرغون خان والتف حوله بعض قدامى المغول من الوثنيين والبوذيين إلى جانب النساطرة المسيحيين من أهل البلاد، وهي فترة تمثل اختبارًا بالغ الأهمية في حياة تلك الدولة, وفيها وضح نشاط العناصر الإسلامية الإيرانية في جذب كثير من العناصر المغولية وذوبانها في الشعب الإيراني. ولم تمر على وفاة أرغون خان أربع سنوات، وهي فترة قصيرة في عمر الدول والشعوب إلا واعتنق ابنه غازان خان الإسلام في الرابع من شهر شعبان عام ٦٩٤هـ/ ١٩ يونية عام ١٢٩٥م وتبعه الألوف المؤلفة من المغول، والذين أصبحوا سياجًا منيعًا حمى الإسلام من شر الوثنية. مما يعد انتصاراً فاق حد التخيل للإسلام والمسلمين، ليس هذا فحسب، بل سرعان ما دخلت مغول إيران في تحالف مع قوى المسلمين المجاورة، ومن أهمها دولة سلاطين المماليك المتاخمة لحدودهم مع بلاد الشام، إلى جانب ما تضمه السلطنة المملوكية من بلاد مثل الحجاز واليمن ومصر.

كما أظهر البحث أن هذه الفترة من أخطر فترات تاريخ إيران وأكثرها أضطرابًا، وأنها ترصد لنا التغيرات, التي بدأت تأخذ مكانها في حكام مغول إيران, وبوجه خاص منذ عهد تكودار خان (٦٨١-٦٨٣هـ/١٢٨٢-١٢٨٤م) بحيث نجدهم مغولاً شكلاً وأصلاً، فرسًا حضارةً وثقافة، مسلمين ديناً، ومقربين برجال الدين الإسلامي, ومؤثرين لهم على غيرهم من رجال بلاطهم.

كذلك أظهر البحث أنه لعل أحدًا من الحكام لم يلق الغبن في حياته وبعد مماته ما لقيه أحمد تكودار خان، وهو الذي مهد لاستقلال دولة المغول في إيران

دينيًا، وسياسيًا عن سيطرة الخاقان الأعظم في بكين في الصين، وتحولها من دولة مغولية تابعة للصين إلى دولة مسلمة تحاول زعامة العالم الإسلامي.

وأثبت البحث أن أحمد تكودار خان كان هو الشخص المناسب بما حباه الله تعالى من سمات وصفات لتلك الفترة المضطربة من حياة دولة المغول في إيران، وذلك لما كان يراه من عدم محاربة المسلمين من جيرانه، وما بذله من جهد لتأليف قلوب المغول حوله بما بذله لهم ولكبار أمرائهم من نصحٍ ومنح وعطايا وألقاب شرف, إلى جانب إدراكه أن معاداة سلطنة المماليك وهي أكبر قوة إسلامية يعد خطأً فادحًا وإن إعلان إسلامه وإشهار ذلك كان الهدف منه تكوين رأي عام ضاغظ لخدمة مصالح العاهل المغولي في العالم الإسلامي, وكسب ود المسلمين في منطقتي الشرق الأدنى والأقصى. وبما يكون سببًا في التقارب الذي سعى إليه مع سلطنة المماليك، ولمنع أية محاولة منهم لقصد العراق أو إيران لطرد المغول من هذه البلاد.

كما أظهر البحث سعة أفق أحمد تكودار خان, وإدراكه لتطورات الأحداث الدولية من حوله، ومنها: إن الدخول في علاقات دبلوماسية مع الغرب الأوروبي المسيحي لم يأت بالآمال المرجوة منها، حيث أن الروح الدينية والمعنوية عند الصليبيين في بلاد الشام قد ضعفت، كما ضعفت معها سلطات البابوية, وأصبح البابوات أتباعًا لملوك وأباطرة وأمراء الغرب الأوروبي، فضلاً عن أن اللجوء إلى الغرب والتحالف معه لتكوين جبهة مناهضة لدولة سلاطين المماليك لم يعد مجديًا، وهذا المنحى هو ما نحاه قبله أخوه أباقا أو أبغا خان (٦٦٣-٦٨٠هـ/١٢٦٥-١٢٨٢م) ووالده هولاكو خان بسبب ما قام من تحالفٍ بين سلطنة المماليك ومغول القبيلة الذهبية في القفجاك في بلاد روسيا. ولأن (تكودار) كان مسلماً فإن الإسلام كفيل بإصلاح ذات البين بين المغول في إيران,

ومغول القفجاك وسلطنة المماليك. فضلاً عن أن الغرب الأوروبي كان قد أدرك أن تكوين جبهة عسكرية مع مغول إيران لم يعد أمرًا مطلوبًا.

وأظهر البحث أيضًا كيف أن أرغون خان بعد وفاة والده أباقا خان (٦٨٠هـ-١٢٨٢م) كان يعتبر العرش ميراثًا له، مما يعد تحولاً عن إلياسا التي وضعها جنكيز خان والتي توصي بتولي الأخ الأكبر للخان المتوفى للعرش.

كما ألقى البحث الضوء على سياسة أرغون الداخلية وتفضيله العنصر اليهودي لحرصه في جمع المال له, مما كان سبباً في ثورة المسلمين ضد اليهود في بغداد, ونقمة العناصر المغولية على اليهود لأنهما السبب في حرمانهم من كثير من المزايا المادية التي كانوا يتمتعون بها.

كما أن البحث قد ألقى الضوء على علاقات أرغون خان بالغرب الأوروبي وسفاراته المختلفة إلى بابوات وملوك ورؤساء الغرب، وفشلها في تحقيق الهدف منها، فضلاً عما تناوله البحث من حديث عن شخصية أرغون وثقافته، وأعمال العمرانية إلى حين وفاته, وطريقة دفنه وفق القواعد المغولية الوثنية. وإلى جانب ذلك فإن البحث أوضح أن أرغون خان قد لقي حتفه بعد قتله عمه تكودار بسبع سنوات، وإن اختلف المؤرخون في تحديد يوم وفاته، فقد ذكر الذهبي أنه توفي في اليوم السادس من ربيع الأول سنة ٦٩٠هـ/١٢٩٠م ، بينما ذكر المؤرخ الإيراني البدليسي أنه توفي في اليوم الخامس من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة نفسها، ويذكر الهمذاني بأنه لقي حتفه في يوم السبت ٧ من ربيع الأول وحمل نعشه إلى جبل "سجاس" ودفن هناك. بينما هناك بعض المصادر التي لم تحدد يوما معينا للوفاة, فقالت في حديثها عن السنة نفسها "وفيها في ربيع الأول مات أرغون ملك التتر بن أبغا بن هولاكو خان ومدة ملكه نحو سبع سنين"

[١٧٥]. ونحن نرجح قول رشيد الدين الهمذاني باعتباره مؤرخ أسرة هولاكو خان، وأقيمت له مراسم التعزية فى معسكراته.

وهنا ينبغى أن نشير إلى عبارة ذكرها رشيد الدين الهمذاني وهي: "وترك الدنيا الفانية لذريته المشهورة الخالدة" [١٧٦]. وهو يقصد بذلك أن أرغون أفنى السبع سنوات التى حكمها (٦٨٣-٦٩٠هـ/١٢٨٤-١٢٩١م) في الصراع بين الوثنية التي يمثلها والمتحالفة مع المسيحية أحيانا واليهودية حينا ضد الإسلام، وكانت النتيجة هي نصرة الإسلام على أيدى ابنه غازان (٦٩٤-٧٠٣هـ/١٢٩٣-١٣٠٤م)، ولأن الخلود لله وحده، فإن ما يقصده مؤرخنا هنا بكلمة "الخالدة" هو خلود الذكرى.

وإذا كان بعض المؤرخين يرون أن المسيحيين النساطرة كان لهم تأثير كبير في سياسة أرغون الخارجية ، حيث استخدمهم كسفراء للمغول إلى أوروبا، وأنه كان لهم أيضا تأثيرهم الكبير في بلاط أرغون, حيث قام كبيرهم بتنصير ابن أرغون أولجايتو. فهذا في حد ذاته يؤكد ما ذهبنا إليه من أن أرغون لم يكن الدين بالنسبة له سوى وسيلة يتقرب بها إلى الغرب الأوروبي المسيحي لتكوين جبهة ضد سلطنة المماليك، إذ لا فرق عند حكام المغول بين العبد والحر والمؤمن والكافر والمسيحي واليهودي فهم يسوسونهم بصولجان واحد.. كذلك يرى البعض أن أرغون خان عندما تولى العرش أخذ في تصفية المسلمين، فلم يبق أحدا منهم في البلاط، ثم لاحقهم في دوائر الدولة الأخرى، واستبدلهم بآخرين من المسيحيين واليهود، حتى إنه عين يهودا من تفليس بإقليم جورجيا الصغرى على مواريث المسلمين، والمفروض أنها وظيفة إسلامية. وفي رأينا أن تلك الإجراءات لم تكن سوى خطوة في إيجاد جبهة يركن إليها لمواجهة المد الإسلامي.

وإذا كان هناك بعض المؤرخين الذين يشككون في حقيقة إسلام تكودار وأن هدفه من إسلامه كان سياسيا [١٧٧]. وهو تخفيف حدة التوتر مع سلطنة المماليك الإسلامية في مصر والشام والحجاز. فإذا كان هذا هو هدفه الحقيقي والذي راح ضحيته كما ذكرنا، فما الذي دفعه أن يرسل إلى أهل بغداد كتابه الذي جاء فيه وهم تحت حكمه ورعيته: "إنا جلسنا على كرسي الملك، ونحن مسلمون، فتبلغون أهل بغداد هذه البشرى، ويعتمدون في المدارس والوقوف وجميع وجوه البر ما كان يعتمد في أيام الخلفاء العباسيين، ويرجع كل ذي حق إلى حقه في أوقاف المساجد والمدارس ، ولا يخرجون عن القواعد الإسلامية" [١٧٨].

ومن المعروف أن حكام المغول اشتهروا بالعنت والبطش والجبروت والغطرسة، فإن لم يكن قد حسن إسلامه فعلا، فما الذي يدفعه إلى جعل الشريعة الإسلامية هي مصدر التشريع في دولته ؟ وهذه الخطوة هي قمة الصراع ضد الوثنية وإلغاء قوانينها المتمثلة في إلياسا الجنكيزية، ومما لا شك فيه أنه كان يدرك أبعاد ذلك الصراع ، وقد كان في إمكانه تحقيق النصر الذي باتت معالمه, واضحة بهزيمة ابن أخيه أرغون واستسلامه له وقبضه عليه، ولولا الخيانة لما انقلبت الموازين لصالح أرغون، والسبب في هذا هو أنه اعتمد على أشخاص لم يكونوا مخلصين كل الإخلاص له، وفي مقدمتهم الأمير (بوقا) الذي سبق وأشرنا إلى دوره في ذلك.

كما أثبتت الأحداث أن تكودار كان يلهو ويلعب في وقت لا يحتمل إلا الجد كل الجد، وهذا يتضح تماما عندما غلبه الحنين إلى زوجته "توداي خاتون"، فقرر الرحيل إليها عقب القبض على أرغون، في وقت كان يتطلب بقاءه، ليرقب الأحداث عن كثب، ويتخذ إزاءها القرارات السريعة المناسبة. ولكن غيابه عن الميدان أتاح الفرصة لأعدائه لحبك المؤامرة ضده، فنجحوا في الإطاحة به.

وشاء ربك أن يكون هذا هو مصير تكودار، وهكذا تثبت لنا الأحداث التاريخية أن الأقدار تجري وفق مشيئة مقدرها لحكمة يعلمها هو سبحانه وتعالى. إذ لم يكن مقدرا أن يعم الإسلام جميع المغول في إيران في عهد تكودار, ولكن في عهد غازان وبعد حوالي أربع سنوات من وفاة والده، أن تستقل حكومة مغول إيران كلية عن حكومة الخاقان الأعظم في الصين، وأن تصبح الشريعة الإسلامية هي مصدر التشريع الوحيد منذ عهد غازان، وما كانت فترة تكودار إلا الإرهاصة التي سبقت ميلاد عهد جديد لمغول إيران.

ومما يؤكد أن هذه الإرهاصة كانت قوية جدا, وأن الإسلام كان قد أخذ ينتشر بين المغول وبسرعة فائقة ما جاء في أحد المصادر المعاصرة لتلك الحقبة من قول في سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م من أنه عندما عاد رسل السلطان أحمد تكودار من عند المنصور سيف الدين قلاوون وقالوا له: "أنه لا يثق إلا بكلام الشيخ عبد الرحمن الرافعي لما يعلم من دينه وأن حكمه على الملك أحمد أغا سلطان وعلى وزيره صاحب ماردين وجماعة كثيرة نحو مائتي ألف فارس وراجل وأتباع وغيرهم.."، وكان هذا رد المنصور سيف الدين قلاوون على المشافهة التى حملها رسل تكودار لطلب الصلح مع سلطنة المماليك، وفعلا قام تكودار بتجهيز هذا الشيخ الذي كان قد جعله شيخا للإسلام ومعه بعض أمراء المغول وجماعة صحبتهم "نحو مائة وخمسين نفرا, وأرسلهم إلى الملك المنصور ليقرر الشيخ عبد الرحمن الرافعي قواعد الصلح بين أحمد أغا سلطان ملك التتر وبين الملك المنصور صاحب مصر" والذين وصلوا إلى دمشق في ليلة الثلاثاء ثاني عشر ذي الحجة من تلك السنة، واجتمع بهم قلاوون ثلاث مرات، ثم أخبرهم بقتل تكودار وتولي أرغون الحكم [١٧٩]. يضاف إلى ذلك ما ذكره المؤرخ ابن العبري "ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م"، وهو في الوقت نفسه كان رئيس الكنيسة السريانية وكان معاصرا لتلك الأحداث عندما قال: "وغير خاف أن أغلب

المغول في زماننا (أي في بداية حكم أرغون) قد دانــوا بالإســلام وأصــبحوا يدافعون عنه اللهم إلا إذا اضطرهم الزعماء أن يقــاتلوهم (يقــصد المــسلمين) ويبطشوا بهم" (١٨٠). وما يؤكده خواندمير (ت ٩٤٢هــ) من أن انتشار الإســلام يرجع أساسا إلى جهود السلطان أحمد تكودار ووزيره حين يقول: "في تلك الأيام ارتفع شأن الإسلام لما بذله خواجه شمس الدين محمد والسلطان مــن مــساعي طيبة" (١٨١).

كما أثبتت الدراسة أن فترة حكم أرغون وهي السبع سنوات لم تكن عــصر ازدهار المسيحية أو الوثنية المتحالفة معها، وتدهور الإسلام كما زعم الــبعض، بل هي بداية النهاية للمسيحية والوثنية المتحالفة معه.

حقا إن السلطان أحمد تكودار حاكم مغول إيران (٦٨١-٦٨٣هــ/١٢٨٢-١٢٨٤م) جدير بأن يكون في زمرة الشباب البطل الذين كان سيكون لهم شــأن أي شأن في التاريخ الإسلامي لولا المكائد التي حيكت ضده. أما أرغون خــان (٦٨٣-٦٩٠هــ /١٢٨٤ م١٢٩١م) فإن كل ما كان يأمله فــي صــراعه مــن تحالف مع الفرنج "الصليبيين" هو محاولة الإبقاء على بقايا الإمارات الــصليبية شوكة في جنب المسلمين، وإقامة التحالف الوثني المسيحي، لتكوين جبهة لسحق قوة المماليك, وضم بلادهم إلى دولة المغول الوثنية، على أن ما حدث فعــلا أن ظلت الدولة المملوكية الإسلامية لمدة ثلاثة قرون، ولم تمض على وفاة أرغون أربع سنوات حتى دخل مغول إيران في الإسلام. وتحولت دولتهم إلــى إحــدى الدول الإسلامية التي جرت في فلك الإسلام طوال عهدهم.

الحواشى والتعليقات

١- **العيني** "بدر الدين محمود", *السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودى*، القاهرة، ١٩٦٧م، ص١٨٢.

٢- **الهمذاني** "رشيد الدين فضل الله", *جامع التواريخ*، المجلد الثانى، الجزء الثانى، نقله إلى العربية د. محمد صادق نشأت، د. فؤاد عبد المعطي الصياد، وزارة الثقافة – القاهرة، بدون تاريخ طبع، ص٢١. **الصياد** لفؤاد عبد المعطي, *الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين أسرة هولاكو*، الدوحة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١٤.

٣- انظر: **خليل أدهم**, *تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة*، ترجمة الدكتور أحمد السعيد سليمان، القاهرة، ١٩٧٢م، جـ٣، ص٤٨٠. **الصياد**, *المرجع السابق نفسه*، ص٢٨.

٤- انظر: القلقشندي "أبو العباس أحمد ت٨٢١هـ", صبح الأعشى فـي صناعة الإنشا، القاهرة، ١٣٣٣هـ/١٩١٤م، جـ٤، ص٤١٩. الصياد, نفسه، ص٢٨.

٥- انظر: فهمي "عبد السلام عبد العزيز", تاريخ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف المصرية، ١٩٨١م، ص١٥٣. وانظر كذلك: دائرة المعارف الإسلامية الكبرى بالفارسية، المجلد السابع، طهران، ١٣٧٧هـ، ص٢٨.

A. Boyl *The Successors of Genghis Khan*, Columbia University Press, 1971, pp : 1-15. **David Morgan**: *Medieval Persia*, London, 1988, p. 81. **Percy Sykes**, *A History of Persia*, London, 1958, pp: 105-108.

٦- انظر: Runciman, S. A History of the Crundes, Cambridge, 1959, Vol. 3, p. 204. وانظر كذلك: عاشور "سعيد عبدالفتاح", الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م، جـ٢، ص١٠٧٥. فهمي: نفسه، ص١٥٠.

٧- **الصياد** " فؤاد عبد المعطى", *المغول في التاريخ*، بيروت، ١٩٨٠م، ص ص:٣١٧٣١٨.

٨- أبو الفداء "عماد الدين إسماعيل ت٧٣٣هـ", المختصر في أخبار البشر، القسطنطينية، ١٢٨٦هـ، فى ذكره حوادث سنة ٦٥٨هـ.

٩- **عاشور**, *نفسه*، جـ٢، ص١٠٨٣.

١٠- **العريني** "السيد الباز", *المغول*، بيروت، ١٩٨٠م، ص٢٦٤.

١١- **الصياد**, *الشرق الإسلامي*، ص١٤٨.

* الكهنة الشامانيون: نسبة إلى الديانة الشامانية الوثنية والتي كانت تتمثل في عبادة كل شيء يسمو على مدارك المغول، كما أنه يتمثل في عبادة كل ما يخشونه ويرهبونه فلهم آلهة تتمثل في النهر، والجبل والشمس والقمر، والبرق، والرعد. وإذا كان المغول يتقربون إلى هذه الآلهة فإنهم كانوا يفعلون ذلك دفعًا لشرها وأذاها، راجين منها الصحة في أجسامهم وعقولهم، ملتمسين إليها حماية أبنائهم وحيواناتهم.

* الكهنة البوذيون: هم معتنقي الديانة البوذية التي حلت محل الديانة الشامانية وسرعان ما اجتذبت إليها طوائف المغول، خصوصًا بعد أن استمرت هذه الديانة في هضبة التبت، وأخذ دعاتها يعملون على نشرها في الجزء الشرقي من آسيا. وعندما اعتنق الخان الأعظم قوبيلاي هذه الديانة زاد نفوذها.

انظر: **الصياد**، *المغول* ص ص: ٣٣٥ – ٣٣٦.

١٢- **هايد**, *تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى*، ترجمة أحمد رضا محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م، جـ٢، ص٣٠١.

١٣- المرجع السابق: نفسه، جـ٢، ص ص: ٢٩٨-٣٠٢.

١٤- **عبد العزيز جاويد**, *رحلات ماركو بولو*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، ص ص: ٧-٩، ٣٥٤، "ولد ماركو بولو بمدينة البندقية (فينيسيا عام ١٢٥٤م، وفي سن السابعة عشرة من عمره صحب والده وعمه في ثاني رحلة لهما لبلاد الصين التي كان يحكمها الخان المغولي الأعظم قوبيلاي خان، فوصلها عام ١٢٧٥م، ولم يمض وقت طويل حتى تعلم لغة المغول وعاداتهم، واستخدمه الخان في عدة وظائف، وقضى في بلاد المغول سبعة عشر عامًا زار فيها كثيرًا من بلدان الشرق الأقصى. فكان أول أوروبي بحق يشاهد الشرق. وفي عام ١٢٩٢م أبحر من الصين إلى فارس، ومنها إلى طرابيزون على البحر الأسود فى طريق عودته إلى موطنه البندقية التي وصلها عام ١٢٩٥م. ويُعد كتابه من أعظم كتب الأسفار فيما يتعلق بآسيا الوسطى والصين بوجه خاص، والحياة الآسيوية بوجه عام في العصور الوسطى).

١٥- **شافع بن علي**, *الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين أبى الفتح قلاون*، نشر وتحقيق باولينا لويسكا، وارسو، ٢٠٠٠، ص٣٠٧.

١٦- **العريني**, *المغول*، ص ص:٣٠٣-٣١١.

١٧- David Morgan, *Op*, cit. pp: 81-82

١٨- **الذهبي** "**شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان**", *دول الإسلام*، الطبعة الأولى، حيدر آباد الدكن، ١٣٣٧هـ، جـ٢، ص ص١٥٢-١٥٣.

١٩- **Grousset, René**, *L'Empire des Steppes*, Paris, 1928, p. 404 **Malcolm**, *The History of Persia*, London, 1829, Vol. I, pp. 275-277.

انظر كذلك: **عباس إقبال:** تاريخ مفصل إيران، طهران، ١٣١٢هـ-ش، مجلد **أول**، ص ص ص:٢٥٦-٢٥٧. **القزاز** "محمد صالح", الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، النجف، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص٢٩٢. **الصياد** "د. فؤاد عبد المعطي", السلطان محمود غازان خان المغولي، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ص:١٤-١٦.

٢٠- **خواندمير** "غياث الدين محمد بن همام الدين الحسيني ت ٩٤٢هـ", *حبيب السير فى أخبار أفراد البشر*،بالفارسية، طهران، ١٣٣٣هـ، ص ص: ١٢١-١٢٥.

٢١- **فهمي**, *تاريخ الدولة المغولية*، ص٥.

٢٢- **شافع بن علي**, نفسه، ص٣٠٨. **ابن الفرات** "ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم", *تاريخ ابن الفرات*، بيروت، ١٩٣٨م، جـ٨، ص٤. **ابن الوردي** "زين الدين عمر بن مظفر الدين ت ٧٤٩هـ", *تاريخ ابن الوردي*، النجف، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، جـ٢، ص٣٢٨. **ابن أيبك الدواداري**, *الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية*، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ص :٢٤٨-٢٦٤؛ **خواندمير**, *دستور الوزراء*، القاهرة، ١٩٩٣م، ص١٢. **عباس إقبال:** *تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية*، الترجمة العربية، أبو ظبى، بدون تاريخ طبع، ص ص: ٢٣٨-٢٣٩. **عباس**

العزاوي, *تاريخ العراق بين احتلالين*، بغـداد، ١٩٣٥، ص٣٠٤. **عمـران** "محمـود سعيد", *المغول والأوروبيون والصليبيون*، الإسكندرية، ٢٠٠٣م، ص٣٥١.

٢٣- **إبن تغري بردي** "جمال الدين يوسف أبو المحاسن ت٨٧٥هـ", *المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافي*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، جـ٤، ص١٥٧.

٢٤- **الهمذاني**, *جامع التواريخ*، م٢، جـ٢، ص٨٨.

٢٥- David Morgan, *Op. Cit.*, pp: 65-68.

٢٦- دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، بالفارسية، ص٢٧.

٢٧- **العريني**, *المرجع نفسه*، ص٣٠٢. فهمي, *نفسه*، ص١٦٧. **رنسيمان**, *تاريخ الحروب الصليبية*، ترجمة السيد الباز العرينى، بيروت، ١٩٦٩، جـ٣، ص٦٧٢ **Grousset**, Op. Cit., p. 446.

* مغول القفجاق: استمرت دولة مغول القفجاف (القبجاف) تحكم شمال شـرق العـالم الإسلامي منذ العهد المغولي وكانت حدودها الجنوبية تصل إلى سواحل بحر قـزوين الشمالية الغربية وجبال القفقاس وسواحل البحر الأسود الشمالية، وكانت هذه الحـدود تفصلها عن دولة المغول الإيلخانيين حكام إيران والعراق وآسيا الصغرى الـسلجوقية وكانت الحدود الشرقية لهذه الدولة تصل إلى المجرى الأعلى لنهر إيرتيش وتتجـاوز حدودها في الغرب نهر الفولجا التي تقع عليه مدينة سراي العاصمة. وكانـت دولـة مغول القفجاق (القبجاق) قد نشأت في أثر التقسيم الذي أجراه القائد المغولي جنكيز خان في أملاكه قبيل وفاته. ودعيت البلاد ببلاد القفجاق نسبة إلى شعب القفجاق الذي كـان يسكنها وهو فرع من شعوب الغز التركية وقد اعتنق حكام القفجاق الإسلام في وقـت مبكر عن الوقت الذي اعتنق فيه أبناء عمومتهم الإيلخانيين هذا الدين وكانوا في الوقت نفسه حلفاء دولة المماليك في مصر والشام. انظر: **القلقشندي**, *صبح الأعـشى* ، ج٤، ص ص:٤٥٦-٤٥٨.

٢٨- **فهمى**, *نفسه*، ص١٦٦. **رنسيمان**, *نفسه*، جـ٣، ص ص: ٦٧٢-٦٧٥.

٢٩- **الهمذاني:** *نفسه*، م٢، جـ٢، ص ص٨٢-٩٣. **النويري** "شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب", *نهاية الأرب في فنون الأدب*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م، جـ٢٧، ص ص: ٤٠١-٤٠٣.

** ممالك الخطا: تعد من أعظم الممالك التركية التي تقيم في بلاد ما وراء النهر، وموطنهم الأصلي نواحي (أوزكند وبلاد ساغون وكاشغر) كانوا أمة بادية يسكنون الخيام وديانتهم المجوسية استطاعوا أن يوسعوا نفوذهم على حساب الأقاليم المجاورة لهم حتى تمكنوا من بسط نفوذهم على بلاد ما وراء النهر واتسمت علاقتهم بالعداء مع كل من حولهم سواء مع حكام الأقاليم الإسلامية من جهة أو حكام التتار من بلاد الصين من جهة أخرى. انظر: **ابن الأثير**، على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ، *الكامل في التاريخ*، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ج٩، ص ص: ٣٢٠-٣٢١.

*** ممالك الماجين: تقع هذه الممالك شرق ممالك الخطا إلى الجنوب قليلاً ويسميها أهل البلاد منزي. والمغول يسمونها "منكياس" وكثيرًا مايرد الاسم الذي يطلقه المغول على الصين الجنوبية والهنود يطلقون عليه "ماهاجين" أي تيشن الكبرى وغيرهم يسمونها ماجين وتسمى عاصمتها "جنساي" أو "جنزا انظر: رشيد الدين الهمذاني، *جامع التواريخ*، المجلد الثاني/ الجزء الأول، ص ص:١١٠-١١١ كذلك حاشية رقم(٣).

٣٠- **الهمذاني**, *نفسه*، م٢، جـ٢، ص٢١.

٣١- **ابن حبيب الحلبي** "الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م", *تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه*، نشر وتحقيق د. محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٧٦، جـ١، ص٧٢.

٣٢- **ابن الفرات**, *نفسه*، جـ٧، ص ص :٢١٦-٢١٨. **الهمذاني**, *نفسه*، م٢، جـ٢، ص٨٥.

الإلياسا: لفظة مغولية معناها الحكم أو القاعدة أوالقانون ، وردت في المصادر العربية والفارسية في صورة مختلفة: ياسا وياسه ويساق، ويسق. وتطلق على الحكم الــذي يصدره الملك أو الأمير. وتشتمل الإلياسه على جانب كبيرٍ من الأحكام التــي تتعلــق بالجزاء والعقاب، وهذا الأحكام دونت بالخط الأيغوري، وأقرها جنكيز خان، وكـــان المغول يرجعون إلى نصوص الإلياسا (الإلياسه) للتشاور في السياسة العامة للدولة ، وفي تعبئة الجيوش والاستعداد للقتال ، وعند التشاور في اختيار خـــان جديــد علـــى عرش المغول.

انظر **الباز العريني:** *المغول* ، ص ص: ٥٩-٦٠.

٣٣- **الهمــذاني**, *نفسه*، م٢، جـــــ٢، ص ص٩١-٩٢٥؛ Howorth: History of the Mongols London, 1976, Vol. **3**, p. 286.

٣٤- **ابن الفرات**, *المصدر نفسه*، جـــ٧، ص ص٢٣٤-٢٣٥؛ مشكور "محمد جواد": تاريخ بلاد إيران منذ الزمن القديم حتى انقراض القاجاريين، بالفارسية، الطبعة السادسة، طهـــران، ١٣٧٨هـــ، ص ص :٢٤١-٢٥٩.

٣٥- D'Ohsson Histoire des Mongols, Amesterdam, 1834-5, **Vol. III**, p. 553. **النويرى**, *نهاية الأرب فى فنون الأدب*، جـــ٢٧، ص٤٠١. **بناكتي** "فخر الدين أبو ســـليمان داود بـــن تاج الدين أبو الفضل محمد بن داود", *تاريخ بناكتى أو روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب*، بالفارسية، طهران، ١٣٤٨هـــ، ص٤٣٧.

٣٦- **العريني**, *المغول*، ص٢٦٣.

٣٧- **ابن الفرات**, *نفسه*، جـــ٧، ص ص: ٢٢٨-٢٣١.

٣٨- **اشبولر** "بارتولد", *تاريخ مغول در إيران باللغة الألمانية*، ترجمه إلى الفارسية محمود مير آفتاب، طهران، ١٣٧٤هـــ، الطبعة الخامسة، ص ص: ٨٢-٨٣.

٣٩- **ابن حبيب**, *نفسه*، جـــ١، ص٧٢. **القلقشندي**, صبح الأعـــشى، جـــــ١٣، ص٢٦٨. **المقريزي** "تقى الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـــ", *الـــسلوك لمعرفـــة دول الملـــوك*، القاهرة، ١٩٣٩م، جـــ١، ص٢٦٨.

Sir Thomas Arnold: *The Preaching of Islam*, London, 1935, p. 229. **Brown**, *A Literary History of Persia,* Cambridge, 1928, Vol. **III**, pp: 25-26.

٤٠- **عمران** "محمود سعيد", *المغول والأوروبيون والصليبيون*، الإسكندرية، ٢٠٠٣م، ص ص: ٤١٤-٤٢٠.

٤١- **ابن أيبك الدواداري**, *الدرة الزكية*، ص١١٤. Howorth: *Op. Cit.*, Vol. **3**, p. 290.

* سيواس: بكسر السين وسكون الياء. إقليم بالروم، وهي بلدة كبيرة مشهورة بينهـا وبين قيسارية ستون ميلاً، وهي من مدن تركيا اليوم.

انظر: **كي لسترنج**, *بلدان الخلافة*، ص ص: ١٧٩-١٨٠.

٤٢- المصدر السابق, نفسه، ص ص: ١٣٩-١٦٧.

٤٣- **العريني**, *المغول*، ص١٣.

** الشيخ كمال الدين عبدالرحمن الرافعي: عينه السلطان أحمد تكودار شيخاً للإسلام لكل ممالك إيران والعراق ووضع كل أوقاف دولته تحت تصرفه، وظلـت للرافعـي حرية التصرف المطلق في هذاالمنصب خلال مدة ولاية الـسلطان أحمـد تكـودار القصيرة. وقام الرافعي بشطب رواتب النصارى واليهود من الدفاتر الإيلخانية وأحال المعابد البوذية والكنائس إلى مساجد، وأكره الكثير من النصارى على قبول الإسلام.

انظر: **عباس إقبال**، تاريخ المغول، ص٣٣٧.

٤٤- **الهمذاني**, *نفسه*، م٢، جـ٢، ص٩٧. **عباس إقبـال**, *نفـسه*، ص ص: ٢٣٨-٢٣٤. **بناكتي**, *نفسه*، ص٤٣٧.

٤٥- **ابن أيبك الدواداري**, *نفسه*، ص ص: ٢٤٩-٢٥٢. **ابـن الـوردي**, *نفـسه*، جـــ٢، ص٣٢٨.

٤٦- **شبولر**, *نفسه*، ص٦٣.

٤٧- انظر في ذلـك: D'Ohsson, *Op. Cit.*, 111, pp. 539-542; Howorth: *Op. Cit.*, Vol. **111**, pp: 275-280.

٤٨- **ابن عبدالظاهر** "محي الدين", *تشريف الأيام والعصور في سيرة الملـك المنـصور*، تحقيق مراد كامل، القاهرة، ١٩٦١م، ص٦١. **مرزوق** "محمد عبـدالعزيز", الناصـر محمد بن قلاوون، سلسلة أعلام العرب ٢٨، بدون تاريخ، ص٢٢٥.

٤٩- **القزاز**, *الحياة السياسية في العراق*، ص١٩٩؛ الذهبي: دول الإسلام، جــ٢، ص ص: ١٥٢-١٥٣.

* القبيلة الذهبية: هم مغول القفجاق (القبجاق) ، كانوا يسكنون حــول نهــر الفولجــا ويطلق عليهم القبيلة الذهبية Colden Horde نسبة إلى خيام معــسكراتهم ذات اللــون الذهبي.

محمد جمال سرور، *دولة بني قلاوون في مصر*، دار الفكر العربي، القاهرة، بــدون سنة نشر، ص ٢١٧، حاشية رقم (٤).

٥٠- **الصياد**, *الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين*، ص٥٩.

٥١- **فهمي**, *تاريخ الدولة المغولية*، ص١٥٥.

٥٢- **Grousset**, *L'empire des Mongols*, 111, pp: 695-696.

٥٣- **رنسيمان**, *تاريخ الحروب الصليبية*، جــ٣، ص ص: ٥٨٥-٥٨٦. **الصياد**, *نفــسه*، ص ص: ٦٠-٦٢.

٥٤- **بناكتي**, *نفسه*، ص٤٣٧. **Grousset**, *Op. Cit.*, 111, p. 693

٥٥- **ابن العبــري**, *تــاريخ مختــصر الــدول*، بيــروت، ١٩٥٨م، ص ص:٢٩ -٢٩٣. **المقريزي**, *السلوك*، جــ١، ص٧٧ وما بعدها. **القلقشندي**, *صبح الأعشى*، جــ٨، ص ص: ٥٥-٥٦. **D'Ohsson**, *Op.Cit*, Vol **III**,pp.553-580.

٥٦- **ابن عبدالظاهر**, *نفسه*، ص٤٤. **المقريزي**, *نفسه*، جــ١، ص٧٧. **الصياد**, *المغول في التاريخ*، ص١٦٩.

٥٧- **الصياد**, *نفسه*، ص ص: ١٦٩-١٧٠.

٥٨- **الهمذاني**, *جامع التواريخ*، م٢، جــ٢، ص١٢١. **ابن عبدالظاهر**, *نفــسه*، ص٢٧١. **خواندمير**, *نفسه*، ص١١٩. **ابن الفرات**, *نفسه*، جــ٨، ص٤. **المقريزي**, *نفسه*، جــ١، ص٧٢٦.

٥٩- انظر ما يردده شبولر فى كتابه المترجم من الألمانية إلى الفارسية من تــشكيكه فــي نزاهة بعض المؤرخين المسلمين المعاصرين، ص ص: ٨٥-٨٦، ويمكــن للقــارىء الكريم التأكد من مدى نزاهة مؤرخينا المسلمين من مراجعة كتاب ابن الفرات، جــ٧، ص٢٣٧، وما جاء به من أوصاف للحاكم الوثني آباقاخان بن هولاكو على الرغم من وثنيته واعتداءاته على ممتلكات المسلمين.

٦٠- **فهمي**, *نفسه*، ص١٦٩.

٦١- **ابن العبري** "أبو الفرج جمال الدين", *تاريخ الزمان، بالسريانية*، نقله إلى العربية الأب إسحق أرملة، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م، ص٣٤٤.

٦٢- **ابن العبري**, *تاريخ مختصر الدول*، بيروت، ١٩٥٨م، ص٢٨٩.

٦٣- **شافع بن علي**, *نفسه*، ص ص:٣٠٧-٣٠٨.

٦٤- المصدر السابق, *نفسه*، ص ص:٣١١-٣١٦. **ابن أيبك الدواداري**, *الدرة الزكية*، ص٢٤٩.

٦٥- The Preaching of Islam, p. 222.

٦٦- **شافع بن علي**, *نفسه*، ص ص:٣٠٨-٣١١.

٦٧- **ابن الفرات**, *نفس المصدر*، جـ٧، ص ص:٢٧٥-٢٧٦.

٦٨- **خواندمير**, *حبيب السير*، ص ص:١١٨-١١٩. **شبولر**, *نفسه*، ص٢٢٢.

٦٩- **ابن تغري بردي**, *النجوم الزاهرة*، جـ٧، ص٣٦٢.

٧٠- **ابن أيبك الدواداري**, *نفسه*، ص٢٦٤.

٧١- **ابن الفرات**, *نفسه*، جـ٧، ص٨.

٧٢- **ابن الطقطقي** "محمد بن علي بن طباطبا", *الفخري في الآداب السلطانية*، مطبعة المعارف بمصر، بدون تاريخ، ص١٨. **David Morgan,** *Medieval Persia*, p. 69

٧٣- **خواندمير**, *نفسه*، ص١١٩.

٧٤- **القزويني** "حمد الله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر المستوفي", *تاريخ كزيدة*، بالفارسية، تقديم إدوارد براون، كمبريدج، لندن، ١٩١٠م، ص ص:٥٨٤-٥٨٥. **ابن العبري**, *تاريخ الزمان*، ص ص:٣٤٤-٣٤٧.

٧٥- **الحسن بن حبيب**, *تذكرة النبيه*، جـ١، ص٧٢ ص ٧٥. **مرزوق**, *الناصر محمد بن قلاوون*، ص٢٢٥.

٧٦- **ابن العبري**, *تاريخ الزمان*، ص٣٤٧. **القزويني**, *تاريخ كزيدة*، ص ص: ٥٨٤-٥٨٥. **خواندمير**, *دستور الوزراء*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠، ص ص:٣٥٢-٣٥٤.

٧٧- **ابن العبري**, *نفسه*، ص ص: ٣٤٧-٣٤٨. Percy Sykes, *Op*. Cit. pp. 107-108، وانظر كذلك بناكتي, *تاريخ بناكتي* ، ص ص: ٤٣٩-٤٤٠.

* همذان: مدينة من الجبال، أعذبها وأطيبها هواءً وهي أكبر مدينة بها، وبها أربعة أبواب ، ومنها إلى حلوان أول بلاد العراق سبعة وستون فرسخً.

ياقوت الحموي, معجم *البلدان*، ج٥، ص ٤١٠.

** خواجه علاء الدين عطا ملك الجويني، شقيق شمس الدين محمد صاحب الديوان. ولد عام ٦٢٣هـ **والتحق بخدمة المغول منذ الصغر؛ وصار من عمال الديوان للأمير أرغون حاكم إيران من قبل المغول.** ولاه الخان أباقا ولاية بغداد. وقد عمر تلك البلدة في فترة قصيرة من الزمن، وكانت قد خربت بعد مقتل الخليفة المستعصم عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م وكان خواجه علاء الدين فريد عصره في العلم والمعرفة. ومن مؤلفاته كتاب (جها نكشاي) أي تاريخ فاتح العالم المراد به جنكيز خان. وقد كتبه باللغة الفارسية في ثلاثة أجزاء. وقد توفي خواجه علاء سنة ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م.

انظر: **خواندمير**, *دستور الوزراء*، ص ٣٨٨. **كذلك الصياد**, *المغول*، ص ٣٢٤، حاشية رقم (١).

*** مجد الدين اليزدي: كان صاحب نفوذ كبير في الدول الإيلخانية وكان المنافس الوحيد للأخوين شمس الدين محمد ابن محمد الجويني صاحب الديوان وعلاء الدين عطا ملك بن محمد الجويني قتل مجد الدين سنة ٦٨١هـ.

الهمذاني, *جامع التواريخ* ، ص١٦٨.

٧٨- **خواندمير**, حبيب *السير*، ص ص:١١٩-١٢١. **بناكتي**, *تاريخ بناكتي*، ص٤٣٧. **ابن حبيب**, *تذكرة النبيه*، جـ١، ص٧٦. **مشكور**, *تاريخ بلاد إيران*، ص٢٥٩.

٧٩- **الكريم الآقسرالي** "محمد بن محمد المشتهر بالكريم الآقسرالى", *مسامرة الأخيار ومسايرة الأخبار*، باللغة التركية، نشر وتحقيق عثمان توران، آنقرة، ١٩٤٣م، ص١٤١.

٨٠- **الصياد**, *الشرق الإسلامي*، ص ص:١٤٧-١٤٨.

٨١- **ابن الطقطقي**, *الفخري في الآداب السلطانية*، ص٣٤.

٨٢- **الصياد**, *الشرق الإسلامي*، ص ص:١٤٧-١٤٨.

٨٣- **ابن الطقطقي**, *المصدر السابق*، ص ص:٥١-٥٢.

٨٤- **بناكتي**, *نفسه*، ص٤٣٧. **الصياد**, *الشرق الإسلامي*، ص٣٥. **العزاوي** "*عباس المحامي*", *تاريخ العراق بين احتلالين*، بغداد، ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م، جـ١، ص٣١٣.

٨٥- **أرنولد توماس**, *الدعوة إلى الإسلام*، ترجمه إلى العربية وعلق عليه د. حسن إبراهيم حسن وآخرون، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٥٧م، ص ص:٢٥٠-٢٦٢. **الصياد**, *السلطان محمود غازان* ، ص١٨. **Grousset**, *Op. Cit*,. P. 404.

٨٦- **ابن الفرات**, *نفسه*، جـ٨، ص٤. **المقريزي**, *السلوك*، جـ١، ص٧٢٦.

٨٧- **ابن عبد الظاهر**, *تشريف الأيام والعصور*، ص٦٨. **بناكتي**, *نفسه*، ص٤٤٢.

٨٨- **الصياد**, *الشرق الإسلامي*، ص١٢٥، وما به من مصادر ومراجع.

٨٩- **ابن العبري**, *تاريخ الزمان*، ص٣٥٥. **مرزوق**, *الناصر محمد*، ص٥٧.

٩٠- **ابن الطقطقي**, *نفسه*، ص٣.

* شمس الدين محمد الجويني: هو صاحب الديوان كان من أكفأ الوزراء والعمال والكتاب الفرس ويقال أنه لم يكن له نظير في عصره من حيث الكفاءة والجاه والثراء، وقد اشتهر بالحكمة والتواضع وحب العلم والشعر، وقد تم قتله بأمر من الخان أرغون في عصر يوم الأثنين الرابع من شعبان سنة ٦٨٣هـ.

عباس إقبال, *تاريخ المغول*، ص ص: ٢٤٤-٢٤٥.

٩١- **خواندمير**, *حبيب السير*، ص ص: ١١٨-١١٩. **القزويني**, *تاريخ كزيده*، ص٥٨٤. **ابن العماد الحنبلي**, *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، القاهرة، ١٣٥١هـ، جـ٥، ص٣٧٠. انظر كذلك **Howorth**, *Op. Cit*., 111 p.286. **D'Ohsson**: *Op. Cit*., 3, pp: 553-570.

٩٢- **خواندمير**, *نفسه*، ص١١٩. **ابن حبيب**, *تذكرة النبيه*، جـ١، ص٧٦.

٩٣- **ابن حبيب**, المصدر *نفسه*، جـ١، ص ص: ٧٦-٧٧.

مازندران: *اسم لولاية: طبرستان*.

يا قوت الحموي, معجم *البلدان* ، ج٥ ، ص٤١.

** آران: بالفتح وتشديد الراء، وألف ونون، ولاية واسعة منها جنزة التي تسميها العامة كنجة وبرذعة وشمكور وبيلقان بينها وبين أذربيجان نهر يقال له الرس، فما جاورها من جهة المغرب والشمال فهو من آران، وما كان من جهة المشرق فهو من آذر بيجان.

البغدادي: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق, *مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع*، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ج١، ص٥٠.

*** آذر بيجان: صقع حده من برذعة مشرقاً إلى زنجان مغرباً ، ويتصل حده من جهة الشمال ببلاد الديلم والجبل والطرم، ومن أشهر مدنه تبريز وهي قصبة وكانت قديماً المراغة، ومن مدنه سلماس، وحوى ، وأرمنيا، وأردبيل وغير ذلك.

انظر البغدادي, *مراصد الإطلاع*، ج١، ص٤٧.

**** خواجة هارون: هو ابن الوزير شمس الدين محمد صاحب الديوان، تولى هارون في عام ٦٨٢هـ الدواوين وأصبح صاحب ديوان الممالك في بغداد. كان ماهراً في شتى العلوم، ومتبحراً في معظم الفنون، تلقى علومه الموسيقية على يد الأستاذ/ صفي الدين عبد المؤمن، وقد ألف (الرسالة الشرفية) في ذلك الفن.

انظر: **خواندامير**، *دستور الوزراء*، ص ٣٣٩.

***** إربل: مدينة كبيرة في فضاء من الأرض واسع لها قلعة حصينة ذات خندق عميق في طرف المدينة.

انظر **البغدادي**, *مراصد الإطلاع*، ج١، ص:٥.

٩٤- **الصياد**, *الشرق الإسلامي*، ص١٢٤.

****** ياهبالاها الثالث: تحمس البابا نيقولا الرابع لفكرة المغول التي أقترحوا فيها القيام بحملة مشتركة من الغرب المسيحي والمغول ضد عدوهم المشترك (المسلمين)، وقد حمل فكرة المغول ياهبالاها الثالث Uahbi Lahah III الذي زار مدينة جنوة وفرنسا وانجلترا وظل التشاور بين المغول وأوروبا حتى عهد غازان ولكن هذا التشاور لم يتعدى الخطابات والبعثات بسبب ضعف الممالك الغربية وضعف الكنيسة الكاثولكية (البابوية).

انظر **عمران**, *المغول وأوروبا*، ص ص: ٣٩٣-٣٩٤.

٩٥- **شيرازي** "شرف الدين عبد الله بن فضل الله", *وصاف الحضرة تاريخ وصاف*، بمباي, ١٣٦٩هـ، بالفارسية، ص١١٠. وفي هذه المسألة انظر **شبولر**, *نفسه*، ص١٨٩.

وانظر كذلك: **David Morgan,** *Op. Cit.* pp: 65-66 وانظر كذلك: **العريني**, *المغول*، ص٣٠٣.

******* القروال: مصطلح مغولي يقصد به مجموعة من العسكر يناط بهم حراسة الطرق.

انظر: **المقريزي**: *السلوك*، ج٣ ، ص ٩٧٩، حاشية (٢).

******** الشحاني أو الشحن: ويقصد به رئيس الشرطة والموكل بالأمن في بلد من البلاد.

انظر: **المقريزي**, *المصدر السابق*، ص٩٧٩، حاشية (٣).

٩٦- **ابن عبد الظاهر**, *تشريف الأيام*، ص ٦١. **ابن أيبك الدواداري**, *الدرة الزكية*، ص٢٥٢. **القلقشندي**, *صبح الأعشى*، جـ٨، ص ص:٢٣٧-٢٤٣. **وصاف الحضرة**، *نفسه*، جـ١، ص١١٣.

٩٧- **شبولر**, *نفسه*، ص٢٤٣. **ابن الفرات**, *نفسه*، جـ٧، ص٢٤٨. **ابن العبري**, *تاريخ الزمان*، ص ص: ٣٤٤-٣٤٥.

٩٨- **القلقشندي**, *نفسه*، جـ٨، ص ص: ٦٥-٦٨. **ابن العبري**, *تاريخ مختصر الدول*، ص ص: ٢٨٦-٢٩٢. تاريخ الزمان، ص ص: ٣٤٤-٣٤٥. **المقريزي**, *السلوك*، جـ١، ص٧٠٧. **أبو الفداء**, *المختصر في أخبار البشر*، جـ٤، ص١٦.

* الحاكم بأمر الله: هوالخليفة الحاكم بأمر الله أحمد بن الأمير أبي علي القتبي بن الأمير أبي بكر بن الإمام المسترشد بالله العباسي.

المقريزي, *السلوك*، الجزء الأول، القسم الثالث، ص٧٤٧.

٩٩- **المقريزي**, *السلوك*، جـ١، ص٧٧٤. **سرور**, *دولة بني قلاوون في مصر*، ص ص:١٧١-١٧٢؛ **الصياد**, *الشرق الإسلامي* ، ص١٢٦. انظر كذلك **Howorth**, *Hist. of the Mongols,* 111, p. 278.

١٠٠- **هلال** "عادل إسماعيل محمد", *العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي*، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١١٨.

١٠١- **الهمذاني**, *جامع التواريخ*، م٢، جـ٢، ص١٢٤. **شبولر**, *نفسه*، ص٨٦. **الصياد**, *الشرق الإسلامي*، ص١٥١.

* كرمان: ولاية مشهورة وناحية معمورة، ذات بلاد وقرى ومدن واسعة، بين فارس ومكران وسجستان وخرسان.

انظر **البغدادي**, *مراصد الإطلاع*، ج٣، ص١١٦٠.

١٠٢- انظر **الهمذاني**, *نفسه*، م٢، جـ٢، ص ص: ٧٠-٧٢. **عبد العزيز جاويد**, *رحلات ماركو بولو*، الترجمة العربية، ص٣٥٢.

١٠٣- **ابن تغري بردي**, *المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي*، الجزء الثانى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤، ص٣١٠.

١٠٤- **الهمذاني**, *جامع التواريخ*، م٢، جـ٢، ص١٢٠. **خواندمير**, حبيب *السير*، ص ص:١٢١-١٢٥. **ابن كثير** "أبو الفداء إسماعيل ت ٧٧٤هـ", *البداية والنهاية*، بيروت، بدون تاريخ طبع، جـ١٣، ص٣٨٢. **بدر**" مصطفى طه", محنة *الإسلام الكبرى*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ص٨٧. **العريني**, المغول، ص٤٠ **Howorth**, *Op. Cit.* Vol. IV., p. 62.

١٠٥- **ابن تغري بردي**, *المنهل الصافي*، جـ٢، ص٣١١.

١٠٦- **عباس إقبال**, *تاريخ مفصل إيران*، جـ١، ص٢٤٢. **الصياد**, *الشرق الإسلامي*، ص١٨٨.

١٠٧- **ابن أيبك الدواداري**, *نفسه*، ص٢٥٧. **ابن خلدون** "ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ", *العبر وديوان المبتدأ والخبر*، ويعرف بتاريخ ابن خلدون، بيروت١٣٩١هـ/١٩٧١م، جـ٥، ص ص:٥٤٦-٥٤٧. **الصياد**, *الشرق الإسلامي*، ص ص: ١٨٨-١٨٩. **Howorth**: *Op. Cit.*, Vol. **IV**, pp: 90-104.

١٠٨- **الهمذاني**, *نفسه*، م٢، جـ٢، ص٨٠. **الصياد**, *المرجع السابق*، ص ص: ١٥٨-١٥٩، ١٩١-١٩٢.

١٠٩- **Runciman**, *Hist. of the Crusades*, Vol. **3**, pp: 313-320.

١١٠- **ابن أبى الفضائل** "مفضل ت ٦٧٢هـ", *النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد*، نشر بلوشبه، باريس، ١٩١١م، ص ص:٦٢٢-٦٢٣. **المقريزي**, *السلوك*، ص ص:٦٩٠-٩٩٩. **أبو الفداء**, *المختصر*، جـ٤، ص ص:١٥-١٧. **هلال**, *العلاقات بين المغول وأوروبا*، ص ص:٢٧٣-٢٩٦. أما عن سبب رغبة أرغون خان في

الإتصال بالبابوية، فلا يستبعد أن يكون على علمٍ بنفوذ وسيطرة البابوية على أباطرة أوروبا في القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ولا يستبعد أن أرغون خان كان على علمٍ بالإتصالات السابقة التي كانت البابوية قد حققتها بحشودها على المسلمين في الأندلس، وعلى المسلمين في بلاد الشام زمن الحملات الصليبية الخامسة والسابعة على مصر وبلاد الشام.

١١١- **ابن الفرات**, *نفسه*، جـ٧، ص ص:٢١٣-٢١٨. وانظر كذلك: **الذهبي** "شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان ت٧٤٨هـ", *العبر في خبر من غبر*، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، جـ٥، ص ص:٣٢٦-٣٢٧.

Howorth, *Hist. Of the Mongols*, 111, p. 278; Boyle, **Andrews**, "*The Il-Khans of Persia and the Christians West*". History Today, XXXIII, 8, 1973, pp: 551-562.

١١٢-**فهمي:** *نفسه*، ص١٧٦. **David Morgan**, *Medieval Persia*, p. 69

١١٣-زبدة الفكرة، ص ص:٢٢٠-٢٢١.

١١٤- **الهمذاني**, *نفسه*، م٢، جـ٢، ص٩١.

١١٥- **الذهبي**, *العبر*، جـ٥، ص٣٦٦. **فهمي**, *نفسه*، ص١٨١. **ابن حبيب**, تذكرة *النبيه*، جـ١، ص١٤١.

١١٦- راجع **بيبرس الدواداري**, *زبدة الفكرة*، ص٢٠٢. دائرة المعارف الإسلامية الكبرى بالفارسية، ص٦٤٦. **الصياد**, *السلطان محمود غازان*، ص٤.

*الري: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات، وهي: محط الحاج على طريق السابلة، وقصبة بلاد الجبال، بينها وبين نيسابور مائة وسبعون فرسخاً، وإلى قزوين سبعة وعشرين فرسخاً.

ياقوت الحموي, معجم *البلدان*، ج٣، ص١١٦. **البغدادي**, *مراصد الإطلاع*، ج٢، ص٦٥١.

** قزوين: مدينة في إيران، وباسمها بحيرة تسمى بحيرة قزوين تقع بين إيران وروسيا، وهي مدينة مشهورة بينها وبين الري سبعة وعشرين فرسخاً، وإلى أبهر اثنا عشر فرسخاً.

ياقوت الحموي, معجم *البلدان*، ج٤، ص ٣٤٢.

١١٧- **بيبرس الدواداري**, *نفسه*، ص٢٢١، حاشية١. **Howorth**, *Op. Cit*., Vol. 3, p. 34؛ **شبولر**, *نفسه*، ص ص:٨٤-٨٥. **عباس إقبال**, *تاريخ المغول*، ص ص:٢٤١-٢٤٠.

١١٨- **الهمذاني**, *جامع التواريخ*، م٢، جــ٢، ص ص:٩٣-١٠٠. **بيبرس الدواداري**, *نفسه*، ص ص: ٢١٥-٢٢٠.

١١٩- **عباس إقبال**, *تاريخ المغــول*، ص ص:٢٣٢-٢٣٩. *رحــلات مــاركو بولــو*، ص ص:٣٥٤-٣٥٥. **الصياد**, *الشرق الإسلامي*، ص ص: ١٣٦-١٣٨.

١٢٠- **الهمذاني**, *جامع التواريخ*، م٢، جــ٢، ص ص: ٩٩-١٠٢. **خواندمير**, *نفسه*، جــ١، ص ص: ٣٣٤-٣٣٥. **شبولر**, *نفسه*، ص٨٥. **الصياد**, *نفــسه*، ص١٣٨. **مــشكور**, *تاريخ بلاد إيران*، ص٢٠٩.

١٢١- **الهمذاني**, *نفسه*، م٢، جــ٢، ص ص:١١٩-١٢١. **وصاف الحضرة**, *نفسه*، ص ص: ١٣٥-١٣٦. **ابن أيبك الدواداري**, *نفسه*، ص ص: ٢٢١-٢٢٢. **أبو الفداء**, *المختصر في أخبار البشر*، جــ٤، ص١٧.

١٢٢- **الهمذاني**, *نفسه*، م٢، جــ٢، ص ص: ١٢٠-١٢١. **عاشــور** "فايد حماد", *العلاقــات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى*، دار المعــارف بمــصر، ١٩٧٤م، ص١٢٦.

١٢٣- **خواندمير**, حبيب *السير*، **م٣**، جــ١، ص ص: ١٦١-١٦٤. **نخجواني** "محمــد بــن هندوشاه", دستور الكاتب في تعيين المراتب، بالفارسية، نشر وتحقيق عبد الكريم علي أوغلي علي زاده، موسكو ١٩٦٤م، جــــ١، ص١٨١. **وصــاف الحــضرة**, *نفــسه*، ص٣١٦.

Grousset, *L'Empirse des Steppes*, p. 457. **عاشور**, *العلاقات السياسية بــين المماليــك والمغول*، ص١٣١، ص١٦٣. **Howorth**, *Op. Cit.*, Vol. 3, p. 458.

١٢٤- **Grousset**, *Op. Cit.*, p. 457.

١٢٥- **جواندمير**, *نفسه*، **م٣**، جــ١، ص ص: ١٢٥-١٢٧.

١٢٦- **القزويني**, *تاريخ كزيدة*، ص ص: ٥٨٤-٥٨٧. **الهمذاني**, *نفــسه*، **م٢**، جــــ٢، ص ص: ١٢٧-١٢٨.

* جوشكاب: سعى بوقا الأمير الكبير في دولة أرغون خان على إغراء جوشكاب بن هولاكو بالملك بدلاً من أرغون إلا أن جوشكاب لم يوافقه على طلبه، وأســرع فــي

إبلاغ أرغون بما تم من وزيره، فأمر أرغون بالقبض على الأمير بوقا فـــي ٢٥ ذو الحجة سنة ٦٨٧ هــ وأمر بأن يقوم جوشكاب بقتل بوقا بيده، وعلى الجانب الآخـــر نظر أرغون إلى جوشكاب على أنه منافسٌ له في الحكم ولم يكافــأه نظيـــر أمانتـــه وإخلاصه له والإبلاغ عن خيانة بوقا وأعوانه. وبعد عام من مقتل بوقا قبض أرغون على الأمير جوشكاب بتهمة الخيانة وأمر بقتله.

فهمي, *تاريخ الدولة المغولية في إيران*، ص ١٧٥.

** الكرجستان: وهي التي نسميها جورجيا، وإنجاز ويقال لها إنجازية ، ولم تـــدخل في عداد الولايات الإسلامية إلا بعد أن فتح تيمور لنك هذه النواحي. وتفليس قـــصبة كرجستان.

كي ليسترنج, *بلدان الخلافة*، ص٢٥٦.

١٢٧- **بناكتي**, *تاريخ بناكتي*، ص ص: ٤٤١-٤٤٢. **الهمذاني**, *نفسه*، **م٢**، جــ٢، ص١٢٨. **مشكور**, *تاريخ بلاد إيران*، ص٢٠٩.

١٢٨- **الهمذاني**, *جامع التواريخ*، **م٢**، جــ٢، ص١٢٧. **بناكتي**, *نفسه*، ص٤٤٢.

١٢٩- **النويري**, *نهاية الأرب*، جــ٢٧، ص٤٠٥.

١٣٠- **ابن الطقطقى**, *الفخري في الآداب السلطانية*، ص١٨.

١٣١- **فهمي**, *تاريخ الدولة المغولية في إيران*، ص ص:١٧١-١٧٢.

١٣٢- **العريني**, *المغول*، ص ص:٣٠٣-٣٠٥.

١٣٣- **بارتولد شبولر**, *تاريخ مغول در إيران، الترجمة الفارسية*، ص ص:٨٢-٨٣.

١٣٤- المرجع السابق, *نفسه*، ص ص:١٨٩-٩١. **Howorth**, *Op. Cit.*, Vol. IV, pp: 90-104

١٣٥- المرجع نفسه، ص١٩٠. **خواندمير**, حبيب *السير*، **م٣**، جــ١، ص١٤٤. **الذهبي**, *دول الإسلام*، جــ٢، ص ص:١٥٢-١٥٣. **Browne**, *A Literary History of Persia*, Vol. **III**, p. 40

١٣٦-تاريخ وصاف، ص٤٥٧. **Grousset,** *op. Cit.*, p. 404. انظر كذلك: **عبدالله القاشاني**, *تاريخ أولجايتو بالفارسية*، طهران، ١٣٤٨هــ، ص ص:١٣-١٤. **Malcolm**, *The History of Persia*, pp: 275-277.

١٣٧- **العريني**, المغول، ص ٢٤٨.

١٣٨- **Bausani. A**, "*Religion under the Mongols*" in Cambridge History of Iran. Vol. **5**, Cambridge, 1968, p. 541.

١٣٩- **Setton**, *A History of the Crussdes*, Wisconsin Press, (U.S.A), 1969-1965, Vol. **III**, pp: 530-531.

١٤٠- **الهمذاني**, *جامع التواريخ*، **م٢**، جـ٢، ص ص:١٨١-١٨٤. **شبولر**, *نفسه*، ص٧١.

* جاجرم: بلدة بها كورة واسعة بين نيسابور وجوين وجرجان ، تستمل على قرى كثيرة.

البغدادي, *مراصد الإطلاع*، ج١، ص ٣٠٥.

١٤١- **الهمذاني**, *جامع التواريخ*، **م٢**، جـ٢، ص ص:١٢٨-١٣٣٠. **ابن العبري**, *تاريخ الزمان*، ص٣٤٩. **ابن الفرات**، *نفسه*، جـ٨، ص٤. **شبولر**, *نفسه*، ص٧٣. **الصياد**, *الشرق الإسلامي*، ص ص: ١٢٩-١٣٠.

١٤٢- **وصاف الحضرة**, *نفسه*، ص٢٢٩. **ابن العيري**, *نفسه*، ص٣٥٣.

١٤٣- **ابن العيري**, *تاريخ الزمان*، ص٣٥٤. دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، ص ص: ٦٤٦-٦٤٨. **David Morgan**, *Op. Cit.*, p. 69.

١٤٤- **ابن العبري**, *نفسه*، ص ص:٣٥٤-٣٦٤. **النويري**, *نهاية الأرب*، ص٢٧، ص٤٠٥. **العريني**, *المغول*، ص ص:٣٠٤-٣٠٥. **مشكور**, *تاريخ بلاد إيران*، ص٢٥٩. **سرور**, *دولة بني قلاوون في مصر*، ص١٧٢. **الصياد**, *الشرق الإسلامي*، ص ص:١٦٦-١٦٩. **Howorth**, *Op. Cit.*, Vol. **3**, pp: 330-331.

١٤٥- **هايد**, *تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى*، ترجمة أحمد رضا محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م، جـ٢، ص ص: ٣٠٣-٣٠٥. **مشكور**, *نفسه*، ص٢٥٩. **هلال**, *العلاقات بين المغول وأوروبا*، ص١١٨. **Joseph of Cancy**, *Letters from the Holy Land*, P.P.T.S, Vol. **5**, pp: 1-16.

١٤٦- **العريني**, *المغول*، ص:ص٣٠٥-٣١١. **الصياد**, *الشرق الإسلامى*، ص ص:١٩٢-١٩٦. **هلال**, *نفسه*، ص ص, ١١٨-١٢٣. **هايد**, *نفسه*، جـ٢، ص ص:٣٠٠-٣٠٧. **عمران**, *نفسه*، ص ص:٣٥٢-٣٥٩.

Chabot, *"Notes sur les Relations du Roi Argun avec L'Occident", Revue de L'orient Latin*, 11, 1894, pp: 569-71.

١٤٧- **Setton (K.)**, *The papcy and Levant*, London, 1976, Vol. **I**, pp: 134-146.

١٤٨- **Wallis Budge**, *The History of the Life and Travels of Rabban Sawma*, London, 1928, pp:170-181.

١٤٩- Ibid, pp: 182-184.

١٥٠- **هلال**, *نفسه*، ص ص:١٢٤-١٢٦. **الصياد**, *الشرق الإسلامي*، ص٦٤٨. **شبولر**, *نفسه*، ص١٩٢.

١٥١- **ابن العبري**, *تاريخ الزمان*، ص ص:٣٦٥-٣٦٦. **عاشور**, *الحركة الصليبية*، جـ٢، ص١١١٣. **الصياد**, *الشرق الإسلامي*، ص ص: ١٩١-١٩٢. **Grousset**, *Op. Cit.*, III, p. 727. **Runciman**, *Op.* Cit., 111, pp: 398-402. **Setto**, *Op. Cit.*, 111, p. 534.

١٥٢- **المقريزي**, *السلوك*، جـ١، ص ص:٧٧٤-٧٧٧. **سرور**, *دولة بني قلاوون في مصر*، ص١٧٢. **عمران**, *المغول والأوروبيون*، ص٤٢٦.

١٥٣- **عمران**, *نفسه*، ص ص:٣٨٨-٣٨٩.

* بلخ: مدينة مشهورة بخرسان من أجلها وأشهرها ذكراً، وأكثرها خيراً ، بينها وبين تبريز اثنا عشر فرسخاً.

ياقوت الحموي, معجم *البلدان*، ج١، ص٤٧٩.

** مرو: أشهر مدن خرسان وقصبتها. بينها وبين نيسابور سبعون فرسخاً.

ياقوت الحموي, معجم *البلدان*، ج٥، ص ص:١١٢-١١٦.

*** شبورغان: أو شبورقان تخففها العامة فتقول شبرقان مدينة من الجرجان، قرب بلخ بينهما مسيرة يوم أو يومين، وبينها وبين الأنبار مرحلة من جهة الجنوب.

ياقوت الحموي, معجم *البلدان*، ج٣، ص٣١٣. **البغدادي**, *مراصد الإطلاع*، ج١، ص٧٨٢.

**** خواف: بفتح أوله وآخره فاءً، قصبة كبيرة من أعمال نيسابور وتشمتل على مائة قرية.

البغدادي, *مراصد الإطلاع*، ج١، ص٧٨٤.

***** سنكان أو سنجان: قرية على باب مدينة مرو يقال لها در سنكان وسنجان أيضاً وهو موضع بباب الأبواب.

ياقوت الحموي, ج٣، ص٢٦٣.

****** قايدو خان: يكتب أيضاً قيدو، وهو ابن قاشي بن أوكتاي قاءان. ربي في معسكر جنكيز خان، وبعد وفاة جدة أوكتاي، صار ملازماً لمنكو قآن، وبعده وفاته لازم (أريق بوقا) وسعى في إجلاسه على عرش الخانية فلما خضع أريق بوقا لأخيه قوبيلاي قآن ، وأطاع أمره ، استشعر قايدو خوفاً من قوبيلاي، فثارعليه وخرج على القانون، وارتكب عدة مخالفات، وقد عمر دهراً طويلاً إلى أن توفي متأثراً بجراحه في إحدى المعارك التي خاضها ضد تيمور قاآن.

الصياد, *الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين*، ص٤٧، حاشية رقم (٢).

١٥٤- **شبولر**, *نفسه*، ص٩١. **الصياد**, *الشرق الإسلامي*، ص ص:١٨٩-١٩٠.

١٥٥- **الهمذاني**, *جامع التواريخ*، **م٢**، جـ٢، ص١٢٦. **الصياد**, *نفسه*، ص١٩٠.

١٥٦- **ابن الطقطي**, *الفخري في الآداب السلطانية*، ص١٣.

١٥٧- **القزويني**, *آثار البلاد وأخبار العباد*، ص ص:٣٦١-٣٦٢.

١٥٨- **الهمذاني**, *جامع التواريخ*، **م٢**، جـ٢، ص٣٣٨.

١٥٩- المصدر *السابق*, نفسه، ص١٦٦، حاشية رقم ١.

١٦٠- **ابن الطقطقي**, *الفخري في الآداب السلطانية*، ص١٥.

١٦١- **الهمذاني**, *جامع التواريخ*، **م٢**، جـ٢، ص١٢٧.

١٦٢- **الصياد**, *السلطان محمود غازان*، ص ص:٣٩-٤٠.

١٦٣- **Quatremer**, *Histoire des Mongols, Paris*, 1836, p. 77.

١٦٤- **الهمذاني**, *جامع التواريخ*، **م٢**، جـ٢، ص١١. **الصياد**, *المرجع السابق*، ص١١١.

١٦٥- **الصياد**, *الشرق الإسلامي* ، ص ص:٢٠١-٢٠٢.

١٦٦- **الصياد**, *السلطان محمود غازان خان*، ص ص:٤٠-٤١.

١٦٧- **الهمذاني**, *جامع التواريخ*، **م٢**، جـ٢، ص ص: ١٥٧-١٥٨. **الصياد**, *الشرق الإسلامي*، ص٢٠٠.

١٦٨- **الصياد**, *الشرق الإسلامي*، ص٢٠٠.

* السلطانية: مدينة أثرية تقع في نصف الطريق بين أبهر وزنجان، قد أنشأها أرغون خان وأتمها الجايتوخان، في سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٥م وجعلها عاصمة الدولة الإيلخانية.

** دوماند: يقال عنها دَباوند ودنباوند كورة من كور الري، بينها وبين طبروستان، وبها عدة قرى عامرة ، وعيون كثيرة، وهي بين الجبال.

ياقوت الحموي, معجم *البلدان*، ج٢، ص٤٣٦.

انظر: **كي لسترنج**, *بلدان الخلافة*, ص٢٥٧.

١٦٩- **الهمذاني**, *نفسه*، ص ص:١٥٧-١٥٨.

١٧٠- المصدر السابق, *نفسه*، م٢، جـ٢، ص ص:١٥٨-١٥٩. **الذهبي**, *العبر*، جـ٣، ص٣٧٢. **ابن تغري بردي**, *النجوم*، جـ٨، ص٢٩.

*** سِجاس: بكسر أوله ، بلد بين همزان وأبهر.

انظر **البغدادي**, *مراصد الإطلاع*، ج٢، ص٦٩٤.

١٧١- **الهمذاني**, *نفسه*، ص١٦٢.

١٧٢- **Le Strang**,, *The Geographical Part of the Nuzht al-Qulup*, Lyden, 1919, p. 233, note 4;

انظر كذلك: **وصاف الحضرة**، *تاريخ وصاف*، ص٣٠. **الغامدي** "سعد بن محمد حذيفة", *المغول في بيئتهم الطبيعية وحياتهم الاجتماعية والدينية*، الرياض، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص ص:١٨٦-١٨٨.

١٧٣- **وصاف الحضرة**, *نفسه*، ص٣٠. **الغامدي**, *نفسه*، ص١٨٨. **فهمي**, *نفسه*، ص٢٢٠.

١٧٤- **الهمذاني**, *جامع التواريخ*، **م٢**، جـ٢، ص١٢٥. **وصاف الحضرة**, *نفسه*، ص ص:٣٠-٣١. **الغامدي**, *نفسه*، ص١٨٨.

١٧٥- **الذهبي**, *العبر*، جـ٥، ص٣٦٦. **البدليسي** "شرف خان", *شرفنامه*، الترجمة العربية، القاهرة، ١٩٦٢م، الجزء الثاني ، ص١١. **الهمذاني**, *جامع التواريخ*، **م٢**، جـ٢، ص١٦٢. **بناكتي**, *نفسه*، ص٤٤٦. **ابن الوردي**, *تاريخ ابن الوردي*، جـ٢، ص٣٣٧. **القزويني**, *تاريخ كزيده*، ص٥٨٨.

١٧٦- **الهمذاني**, *نفسه*، م٢، جـ٢، ص١٦٢.

١٧٧- **شبولر**, *نفسه*، ص ص:٨٢-٨٣.

١٧٨- **النويري**, *نهاية الأرب*، جـ٢٧، ص ص:٤٠١-٤٠٢.

١٧٩- **القزويني**, *تاريخ كزيدة*، ص ص:٥٨٥-٥٨٦. **الصياد**, *الشرق الإسلامي*، ص ص: ١٤٦-١٤٨.

١٨٠- **ابن الفرات**, *تاريخ ابن الفرات*، جـ٧، ص ص: ٢٧٨-٢٧٩، جـ٨، ص ص: ٦-٧. **ابن العبري**, *تاريخ الزمان*، ص ص:٣٤٤-٣٤٦.

١٨١- **ابن العبري**, *تاريخ الزمان*, ص٣٥٥.

١٨٢- **خواندمير**, حبيب *السير*، ص١٢١.

The Struggle between Islam and Paganism in the Eilkhaniah of Iranian Monguls in the Reigns of Tekodar Khan and Arghon Khan

Muhammad Salim Bakr Ba amer
Assistant Professor of Medieval Islamic History,
History Department, Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University, Jeddah. Saudi Arabia

Abstract. This research paper includes an introduction which indicates the boundaries of the State of Iranian Monguls which had been established by Hulako Khan and had been known by the name of the Eilkhaniah of al-Maghoul in Persia (Iran), and the underlying reason for this name, the Christian-Islamic struggle and the importance of the site of the battle Ain Jaloot in decisively ending this struggle in favor of Islam, the alliance between Christianity and Paganism after the death of Hulako, the rise of Islam and the struggle between it and the Christian-Pagan alliance, the views which were expressed in that regard and how this period represents an important historical state of Iranian-Munguls, for its recording the changes which had taken place in the arena of the sovereigns of Iranian Monguls. This research paper also discusses the reign of Tekodar Khan with respect to his genuine name, his Christianization, his inclination to Islam, his emergence on the political stage of events and how he was the right man for that period, his characteristics, his conversion to Islam , the political foreign circumstances in his reign, the criticism against him and the defenses against the accusations relating to him, his internal and external achievements, his involvement in the strife for the crown with his nephew Arghon, and the reasons for that conflict This research paper also discusses the reign of Arghon, his internal policy, the financial crisis, his foreign policy, including his embassies to Western Europe in the period 684-689 A.H. / 1285-1290 A.D., the relations of Arghon with his neighbors, his culture, the archaeological monuments which had been constructed during his reign, his death, and the Mongulian traditions in burying their kings. The conclusion of this research paper includes the diversities of opinions among historians regarding the exact day of Arghon s death, the causes for the influence of the Christian Orthodoxies (Alnasaterah) at his court, and the replies on those who were in doubt of Tekodar s Islamic faith, and how his reign had been regarded as a significant transition which had preceded the birth of a new State in its religion, political affiliation, and policy. The paper also discusses the end of the struggle which had been marked by the triumph of Islam and Muslims.